تاليف : ليونال بالو
ترجمة و تقديم : محمد الصغير غانم
صور : مارسال بوفيس

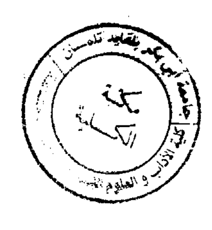
الجزائر في ما قبل التاريخ

دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

جامعة منتوري
قسنطينة - الجزائر

الجزائـــر
في ما قبل التاريخ

تاليف: ليونال بالو
ترجمة وتقديم: محمد الصغير غانم
صور: مارسال بوفيس



دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

الرقم التسلسلي 1345 - 2005 دار الهدى
رقم الإيداع القانوني 306 - 2005 المكتبة الوطنية
ردمك 3 - 618 - 60 - 9961

شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع
المنطقة الصناعية ص.ب 193 عين مليلة – الجزائر
الهاتف: 47 95 44 032   00 92 44 032   67 27 33 030 / 81 28 33 030
الفاكس: 18 94 44 032 ، 48 28 33 030
www.elhouda.com

استهلال

دفعنا إلى ترجمة هذا الكتاب عدة أسباب نذكر من بينها وأهمها:

- **أولا**: نقص المادة العلمية المتخصصة التي تقدم في مجال ما قبل التاريخ باللغة العربية لطلاب الجامعات.
- **ثانيا**: لقد جذبني المؤلف بقوله بأنه يقدم صورا في شكل شريط سينمائي صامت ويترك للقارئ الخيار بعد ذلك في استنتاج سير الأحداث التاريخية، فقد رأيت في هذا التعبير نوعا من الموضوعية التاريخية والليبيرالية التي تجعل ثقافة الدارس واتساع مدراكه وهويته هي الحكم على ما ورد في هذا المؤلف من صور ووثائق مادية تعد من المصادر الأولية والضرورية في نفس الوقت لإعادة بداية كتابة تاريخنا الذي يضرب في أعماق الزمن.

وحتى يصبح ارتسام الشريط المشار إليه كاملا ارتأيت أن أقدم له بخلاصة نظرية شبه شاملة لعصور ما قبل التاريخ تساعد القارئ على فهم ما سيقدم إليه من مادة أثرية، تحتاج إلى حاسة المؤرخ وقدرته الإستنتاجية.

ولا يسعني في بداية هذا العمل إلا أن أشكر كل الذين مدوا لي يد المساعدة وأخص بالذكر الآنسة / تومية زوجي التي أعانتني على الترجمة الحرفية الأولى، وكذا عمال الوسائل السمعية البصرية بجامعة قسنطينة الذين أخذوا لي الصور من الكتاب بعناية فائقة. والله أسأل أن يوفقنا لما فيه مصلحة أمتنا فهو نعم المولى ونعم النصير.

المترجم

مقدمة المترجم

يتفق المختصون في دراسة ما قبل التاريخ على أن بداية نشأة الحياة في شمال القارة الإفريقية تعود إلى نهاية الزمن الجيولوجي الرابع، وبالضبط إلى عصر البليستوسين الذي كانت إفريقيا فيه تمر بمرحلة مطيرة تخللتها فترات صحو يقابلها زحف وتقهقر جليدي في القارة الأوروبية.

وقد عثر على مخلفات إنسان الشمال الإفريقي العائد إلى هذه المرحلة أو ما عرف بإنسان العصر الحجري القديم الأسفل في أرضية الكهوف التي كانت مقره الرئيسي أثناء تهاطل الأمطار.

ومن بين الكهوف التي وجدت فيها بقايا هذا الإنسان في الجزائر نذكر كهوف:

- التروجلوديت والبوليغون بالقرب من مدينة وهران وكهفي الأروية والدببة بقسنطينة.
- وقد وجد ما يماثل صناعة الكهوف الجزائرية في كل من محجري مارتن ودبرية بالمغرب الأقصى.

أما في فترات انقطاع الأمطار فبالعكس مما ذكرنا سابقا وجدت بقايا الإنسان في السهول وحول العيون والآبار والشطوط.

ومن بين المواقع الجزائرية التي عثر فيها على الأدوات الحجرية التي صنعها إنسان العصر الحجري القديم الأسفل نذكر موقعي أوزيدان وبحيرة عين كيرار بالقرب من تلمسان بالغرب الجزائري.

يضاف إلى ذلك موقع عين الحنش بالقرب من العلمة بالشرق الجزائري وتمثل هذه الأخيرة أهم موقع جزائري تظهر فيه صناعة الأدوات الحجرية في شكلها البدائي. وتؤخذ أدوات عين الحنش المتمثلة في الفأس الحجرية ذات الوجهين أو ما عرف باسم مصطلح البيفاس (BIFACE) والكويرات الحجرية الشبيهة بالبرتقالة كشاهد أثري لمرور بلادنا بمرحلة العصر الحجري القديم الأسفل. وقد أظهرت التنقيبات التي قامت في عين الحنش منذ سنة 1947 بالإضافة إلى الصناعة الحجرية عظام بعض الحيوانات المنقرضة مثل الفيل والزرافة ووحيد القرن. مما يدلنا على أن مناخ المنطقة كان مغايرا لما هو عليه الآن. وقد كان يشبه إلى حد قريب مناخ المنطقة الإستوائية في وقتنا الحالي.

كذلك يشير الباحث الأثري الفرنسي أرامبورغ (C.Arambourg) الذي قاد عدة حملات تنقيبية في موقع عين الحنش منذ الخمسينيات من هذا القرن. أنه عثر في إحدى حملاته تلك على بقايا آثار رماد مما أعطاه فكرة بأن عين الحنش يمكن أن تكون مركز تجمع بشري تواصل فيه السكن حتى مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى.

والجدير بالذكر أن صناعة عين الحنش الحجرية تلتقي بتلك التي عثر عليها بسيدي عبد الرحمان بالقرب من الدار البيضاء بالمغرب الأقصى.

أما بقايا عظام الإنسان العائد إلى العصر الحجري القديم الأسفل في بلادنا فيتمثل في عظام الفك السفلي التي عثر عليها في رملية تغنيفين بالقرب من معسكر. وقد عرف هذا الإنسان بإنسان باليكاو نسبة إلى الموقع الذي عثر على بقاياه فيه. وهو ينتمي على ما يبدو إلى الإنسان الموريطاني الأطلسي (Atlanthropus Mauritanicus) الذي لا يستبعد أن يكون معاصرا للإنسان الأسترالي (Australopithecus) كذلك تنتمي أيضا بقايا الصناعة الحجرية التي عثر عليها في موقع تيهودين بالهقار إلى العصر الحجري القديم الأسفل.

أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري القديم الأوسط فإننا نرى بأن الإنسان استفاد من تجربته الطويلة السابقة، فانعكس ذلك على صناعته الحجرية التي انتقل فيها من الإهتمام بصناعة النواة إلى الإهتمام بصناعة الشظايا.

هذا وأن أحسن دليل لمرور الجزائر كبقية العالم بمرحلة العصر الحجري القديم الأوسط يتمثل في بقايا الحضارة العاترية بالشرق الجزائري، والتي تمثل نموذجا متطورا للحضارة الموستيرية في أوروبا ومن بقايا أدوات هذه الحضارة رؤوس السهام المتطورة المذنبة والمكاشط والنصال الحجرية المصنوعة من حجارة الصوان. وقد وجدت بقايا آثار الحضارة العاترية موزعة في كامل المواقع الأثرية العائدة إلى هذا العصر ابتداء من المحيط الأطلسي غربا حتى الواحات المصرية الواقعة غربي النيل شرقا.

أما من حيث الإنسان الذي يمثل العصر الحجري القديم الأوسط فيتمثل في بقايا الإنسان النياندرتاني بفلسطين الذي تشابهت صناعته الحجرية، لا سيما رؤوس السهام والمكاشط والنصال ومنها تلك التي عثر عليها في موقع هوافتيح بليبيا والمنتمية إلى الحضارة العاترية. مما جعل الباحثين الأثريين يعتقدون بأنه يمكن أن تكون هناك لقاءات قد تمت بين إنسان جنوبي غرب آسيا وبلاد المغرب القديم ابتداء من هذه الفترة عن طريق جسر موقع الجبل الأخضر بليبيا والواحات المصرية الواقعة غربي النيل.

وهناك نقطة أخرى تجعلنا نميل إلى فكرة اللقاءات بين بلاد المغرب القديم وجنوب غربي آسيا خلال العصر الحجري القديم الأوسط تتمثل هي الأخرى في الجوانب المعنوية، فقد عثر في موقع القطار بالقرب من قفصة بالجنوب التونسي على كومة من الكويرات الحجرية الجيدة التشذيب تتوسط الموقع الأثري مما أدى بالباحثين الأثريين إلى الإعتقاد بأن هذه الكومة من الحجارة تمثل الجانب المعنوي الروحي لدى الإنسان المغربي القديم. وقد قارنها بعضهم بما عثر عليه في المواقع الأثرية العراقية القديمة والتي كانت نواة للزقورات أو المعابد المدرجة التي عثر عليها في وسط القرى والمدن السومرية مثل الوركاء وتل العبيد كذلك توفرت هذه الفكرة عند الساميين فيما بعد سواء في شبه الجزيرة العربية أو بلاد كنعان وشمالا ووسط العراق حيث كان المعبد غالبا ما يحتل المكان المرتفع الذي يتوسط المدينة.

ومن جهة أخرى يمثل العصر الحجري القديم الأعلى أهم مرحلة حضارية في حياة الإنسان القديم. ذلك لأن هذا العصر كان بمثابة خلاصة للتجارب التي عاشها الإنسان خلال المرحلتين السابقتين بالإضافة إلى أنها أيضا تعتبر مرحلة تمهيدية لثورة إنتاج الطعام التي ستتم في العصر الحجري الحديث.

ومن أهم مميزات هذا العصر في بلاد المغرب القديم صناعة الأسلحة الحجرية الدقيقة أوكما تعرف بصناعة الميكروليث.

أيضا ظهرت في هذا العصر كل من الحضارتين القفصية والوهرانية أو الابيروموريزية كما كانت تعرف سابقا.

وقد توزعت بقايا الحضارة على السواحل والتل ابتداء من المحيط الأطلسي غربا حتى خليج السرت شرقا مثل ما أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي بالو (Balout) في كتابه الذي خصصه لما قبل التاريخ في شمال إفريقيا (Préhistoire de l'Afrique du Nord).

كما نشير أيضا إلى بداية ظهور فن الرسم أثناء العصر الحجري القديم الأعلى في بلاد المغرب القديم حيث بدأ الإنسان يرسم على جدران الكهوف التي يسكنها وواجهات الصخور. وكانت كل رسومه تحاكي الطبيعة وتظهر الحياة اليومية التي كان يعيشها مثل صراعه مع الحيوانات المتوحشة وهي بداية عملية الصيد، وكذلك الرقصات الطقوسية التي يقصد بها تخفيف غضب الطبيعة ويتقرب بها إلى المعبودات.

وقد توافرت رسومه تلك في هضاب التاسيلي بالهقار والجنوب الوهراني وجبال أولاد نايل بالوسط وبعض مناطق الشرق الجزائري.

والجدير بالذكر أن الحضارة الوهرانية كانت قد مرت بعدة مراحل أهمها في نظرنا تلك التي امتدت حتى حوالي الألف التاسعة قبل الميلاد حيث امتدت تقاليدها حتى منطقة الجبل الأخضر بليبيا وبذلك عوضت حضارة الدبة في منطقة شرقي ليبيا، وهناك من يعتقد بأن تأثيرات الحضارة الوهرانية قد وصلت في هذه المرحلة حتى دلتا النيل وواحات الفيوم وسيوه وجبل العوينات بمصر.

والملاحظ أيضا أنه ظهرت في العصر الحجري القديم الأعلى حضارة أخرى في جنوب غربي تونس وشرقي الجزائر كما أشرنا إلى ذلك سابقا عرفت بالحضارة القفصية عدها البعض بأنها متأخرة عن الحضارة الوهرانية أو معاصرة لها في فترتها الأخيرة . وقد وجدت بقايا هذه الحضارة في بلادنا ممثلة في الرماديات (الحلزونيات) التي عثر عليها في مواقع الماء الأبيض وتبسة وشلغوم العيد، كذلك امتدت تأثيراتها حتى منطقة آفلو بوريمال بالقرب من بجاية.

وقد حاول بعض الباحثين الأثريين والأنثروبولوجين أن يجدوا الفرق بين الحضارتين القفصية والوهرانية إلا أن الذي يمكن أن يقال هنا بأن الحضارة الوهرانية كانت حضارة ساحلية في مجملها بينما كانت مثيلتها القفصية حضارة داخلية.

كذلك يمكن أن نقدم آراء بعض الباحثين الأنثربولوجيين والتي يستفاد منها أن بقايا الإنسان الذي صنع أدوات الحضارة القفصية تدل على أنه صحراوي المظهر قريب من الإنسان الزنجي، بينما ينتمي صانع الحضارة الوهرانية إلى إنسان البحر المتوسط. وخير شاهد على هذا الأخير تلك الجماجم البشرية التي عثر عليها في كل من مشتى العربي وآفالو بوريمال بالقرب من بجاية.

أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب القديم فإننا نستطيع أن نميز مراحله بعدة مظاهر أهمها:

- ممارسة الزراعة البسيطة الموسمية على أطراف الأنهار والإشتغال بالرعي على نطاق واسع.

ومن بين المناطق التي يعتقد بأن الإنسان كان قد استقر فيها لأول مرة في بلادنا أثناء تلك الفترة نشير بناء على المصادر المادية إلى منطقة كوليمناطة بتيارت وبوزباوين بالقرب من عين مليلة، ومنطقة تازبنت وجبل المستيري بالقرب من تبسة.

أيضا يمكن أن نشير إلى أنه من بين مظاهر مميزات العصر الحجري الحديث وجود الكسر الفخارية السميكة البدائية الصنع في كامل مواقع هذا العصر بالإضافة إلى المطاحن البدائية وقبور البازيناس بأنواعها، وهذه الأخيرة تعد من أقدم المدافن الجماعية التي عثر عليها في بلادنا يليها فيما بعد قبور الدولمن والحوانيت. هذا من الجانب الأثري.

أما عن الجانب التاريخي فإن الرحالة العرب ومؤرخي العصور الوسطى بصفة عامة يشيرون إلى وصول عنصر بشري جديد إلى منطقة بلاد المغرب القديم خلال نهاية العصر الحجري الحديث امتزج بالمنتمين إلى الحضارتين الوهرانية والقفصية وكونوا مجتمعا جديدا تكاملت جهود أفراده في العمل على الإنتقال إلى الفترة التاريخية.

بناء على أراء الرحالة والمؤرخين التي سقتها آنفا فإن المجموعات البشرية المهاجرة كانت قد انطلقت من شرقي القارة الإفريقية وجنوبي غربي آسيا لا سيما من شبه الجزيرة العربية والصومال والحبشة، وقد ضمت هذه الهجرة بين عناصرها الأقوام الحامية.

أما المؤرخون الغربيون فيضيفون عنصرا بشريا آخر إلى المجموعات السابقة الذكر كان وصوله إلى المنطقة ناتجا عن عملية الطرد التي أحدثتها غزوات شعوب البحر في الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط وقد نفذت هذه الهجرة إلى شمال القارة الإفريقية عن طريق مضيقي صقلية وشبه جزيرة إيبيريا.

ويستدل أصحاب هذا الرأي على ثبوت ما ذهبوا إليه بوجود رسوم العربات ذات العجلتين التي يجرها الحصان منتشرة في كامل المنطقة الصحراوية، ويعزى إلى هؤلاء الأقوام بداية استعمال معدن الحديد في المنطقة المغربية.

ومن جهة أخرى اقترنت بداية الفترة التاريخية في بلاد المغرب القديم بنزول التجار الفنيقيين على سواحل كل من شمال تونس والمغرب الأقصى، وذلك في حوالي نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وكان هدفهم من ذلك هو الحصول على معادن الرصاص والحديد والفضة من شبه جزيرة إيبيريا، وحتى يضمنوا استمرار تجارتهم المربحة من وإلى وطنهم الأصلي أسسوا مراكز تجارية ومدنا قارة.

وفي هذا الصدد نذكر ما أورده المؤرخ والجغرافي سترابون (Strabon I.2-3) (بأن التجار الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل كانوا قد أسسوا مدنا على شواطئ البحر الخارجي وأيضا بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة).

المترجم

يمكن للقارئ الذي يريد معرفة ماضي شمال إفريقيا المتوغل في القدم، أن يعتبر نفسه ملما بقدر كاف وذلك بقراءته لكتاب خاص بفترة ما قبل التاريخ الإفريقي، وكتابين آخرين يتناولان ما قبل التاريخ المغربي، صدر الأول منهما سنة 1955 والثاني سنة 1956.

ويعد كتاب اليمان (Alimen) الذي عنونه بـ "ما قبل تاريخ إفريقيا" إلى جانب الجزء — الأول الخاص بما قبل التاريخ الذي يتناول شمال إفريقيا(*).

والملحق بدراسة خصصت لإنسان ما قبل التاريخ الذي اكتشفت بقاياه الأثرية في معظم مناطق بلاد المغرب القديم والصحراء، يضاف إلى ذلك مجمع الصور (Le premier album) للأشياء المعلقة بما قبل التاريخ والمتوفرة في متحف باردو بالجزائر العاصمة والذي صدر سنة 1956، وأضيف إليه ملحق نشر بمناسبة العيد المئوي للجمعية التاريخية الجزائرية.

كل هذه الأعمال السابقة الذكر شكلت بالفعل وثائق مفصلة وحديثة في نفس الوقت، إلى حد يجعلنا نتساءل في ما إذا كانت هناك إمكانية لصدور كتاب شامل.

ومع ذلك يبدو أن السلسلة — التي استهلها ليسشي (L.Lischi) سنة 1952، والخاصة بتاريخ الجزائر القديم وأثراه فيما بعد كتاب ج.مارسي (G.Marçais) عن تاريخ الجزائر الوسيط، لا زالت تعاني بعض النقص، وذلك لعدم توفر جزء خاص بجزائر ما قبل التاريخ، حيث يجعلها تأخذ مكانها في ربط حلقات تاريخ المغرب القديم بعيدا عن التكرار آخذة في نفس الوقت بعين الإعتبار التوفيق بين تقنية المختصين ومستوى القارئ العادي.

لقد حاولنا هنا إعطاء فكرة عامة عن طريق تقديم الصور المرفقة بالتعليق.

ويعود الفضل الكبير في إعداد هذا الكتاب إلى موهبة مارسال بوفيس (M.Bovis) الذي طفت وإياه سنة 1953 الجنوب القسنطيني والشمال الصحراوي. وعندما لم أتمكن من مرافقته بعد ذلك، وجد كل من م.بيرتييه (M.Berthier) في قسنطينة وسيري دي روش (Serée de Roch) في تبسة ثم لودي (Le Du) في وهران وجانييه (Janier) في تلمسان مرشدين موثوقا فيهم لمصاحبته في عمله ذلك. وكنت أتمنى أن يكون قد استمر في العمل معهم في كل من تغنفين (معسكر) وتيارت، وبجاية وسطيف، وعنابة، وذلك حتى تكون الوثائق المصورة الضرورية لهذا الكتاب أشمل وأكثر اتزانا.

ولا يدل الجزء البسيط من الصور المخصصة لبعض المناطق، على أن هذه الأخيرة خالية من مواقع ما قبل التاريخ أو أنه لم تجر فيها أية حفريات بعد. غاية ما هناك أن الحظ لم يسعفنا في تصوير مادتها الأثرية لا سيما وأن مارسال بوفيس لم يتمكن من تصوير أعمال الرسوم الصخرية الفنية فيما عدا تلك التي نقلت إلى متاحف الجزائر وأعيد تصويرها.

وقد جاء النص المرفق لهذه الصور، على شكل بحث متسلسل أنجز بناء على تتابع أساطيرها التاريخية، وفق نظام يبدو منطقيا أكثر مما أوضحه محتوى المواضيع التي كانت دقيقة وكاملة في نفس الوقت.

(*) قام بتأليف الكتاب المشار إليه ليونال بالو وطبع سنة 1955 وهو صاحب هذا المؤلف الذي نقوم بترجمته حاليا.

إن ما ورد في هذا الكتاب هو عبارة عن اختيار لمناظر يمكن أن تقدم في شكل شـريط صـامت، تاركـة للمتفرج الإجتهاد في الحصول على المعارف المتعلقة بالفترة التاريخية والتواصل والتراتيب المترابطة التي حـاول المؤلف من جهته ألا يهملها.

ذلك لأن هذا الشريط ككل طويل جدا، على أساس أنه يتناول أحداثا متتالية تتعلق بما قبل التاريخ الجزائري خلال مئات الآلاف من السنين.

وقد ترتب على اكتشاف أرامبورغ (Arambourg) لحجارة مهذبة ذات ترسبات بحرية تعـود إلى الـزمن الجيولوجي الرابع القديم أن توغلت بداية ما قبل التاريخ في المنطقة إلى حد يلامس تاريخ الإنسانية نفسها.

وبالفعل فإن عين الحنش الواقعة بين سطيف وقسنطينة تعد واحدة من أقدم المواقع الأثرية في العـالم إن لم تكن أقدمها على الإطلاق، وبقاياها الأثرية تؤكد لنا ذكاء الإنسان.

و لم يبق لنا من هذا الكائن العاقل الذي اجتاز عتبة الإنسانية، سوى الحصى التي قام بتهذيبـها، حيـث أن صناعته لهذه الآلات تجعلنا أكثر اطلاعا من بقايا عظامه المتحجرة، ذلك لأنها تبرز لنا ذكاءه قبل أن نستخلص ذلك عن طريق اختبار جمجمته.

ويعود الفضل — في اكتشاف تلك الوثائق الهامة التي تأتي بعد الحصى المهذبة وهي ما عرفت بحضارة الحصى (Peuple Culture) عند المختصين — إلى أرامبورغ الذي سلمت له إدارة الحفريات الهامة التي جرت في رمليـة تغنيفين (باليكاو) من قبل الجزائر(*)" حيث تمكنا بواسطة هذه الحفرية" أن نعرف بقايا الحيوان الـذي سـبق وجوده، تلك العصور الموغلة في القدم، وأيضا دراسة الفؤوس المهذبة والبليطات المميزة للأشولي الإفريقي.

هل يمكن لنا أن نعتقد أن الإنسان الأطلسـي هـو صـانع هـذه الآلات وهـو ينتسـب إلى جـاوة (Pithécanthropus) بيثي كانثروبوس المشهور، وإنسان بكين (Sinanthropus) وقد تأكدت لنا إنسـانية هـذا الأخير من خلال الصناعة التي خلفها والبعيدة عنا، إلا أنها قريبة من الإنسان الشـبيه بـالقرد (Anthropoides) مثلما يتضح ذلك من شكله الخارجي.

وتنتشر صناعة العصر الحجري القديم الأسفل (الفترة الأشولية منها) انتشارا واسعا في الجزائر الشمالية والصحراء، ويظهر تطورها من خلال احتوائها على أشكال هذبت عن طريق التشذيب بواسطة الحطب المدور حتى أصـبحت توازي تلك التي عرفتها فرنسا في تلك الفترة. إلا أن وجود أداة البليطة بها يعطيها هيئة إفريقية خالصة.

كما وجدت فيما بعد ببلاد المغرب القديم الآلات العاترية ذات الساق ممتدة من البحر المتوسط حتى النيجـر، ترافقها صناعة الشظايا التي تمثل جزء من مجموع كبير من الحضارة الموستيرية التي هي حضارة إنسان نياندرتال. وربما نشأت الحضارة العاترية إثر بداية اضمحلال العصر الجليدي الرابع، ولا يستبعد أن تكون قد استغرقت مدة طويلة في تطورها خاصة في الصحراء، إلى درجة أنها اشتملت على أشكال جديدة لم تعرفها الموستيرية (قبل ذلك في مناطق أخرى).

(*) يقصد بالجزائر هنا: إدارة الحاكم الفرنسي الذي كان يسير شؤون الوطن الجزائري لفائدة الإستعمار الفرنسي أثناء فترة الإحتلال.

غير أن ظهور الإنسان العاقل جاءها متأخرا، وذلك بعد مدة طويلة من صيادي الرنة الذين عاشوا في العصر الحجري الأعلى الأوروبي، ويقدر الفرق بينهما بحوالي خمسة آلاف سنة بالنسبة للجزائر الشمالية، وربما ضعف ذلك في المنطقة الصحراوية.

والجدير بالذكر أنه وجدت هناك حضارتان تنتسبان إلى الإنسان العاقل تغطيان الجزائر تغطية غير كاملة خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة. وهي تتمثل في الحضارتين الأبيرومغربية التي شملت التل والساحل ابتداء من تونس إلى المغرب الأقصى، وكذا الحضارة القفصية الداخلية التي امتدت من المنطقة القسنطينية حتى وسط تونس.

ويعرف حاليا انتشار الأبيرومغربية بدقة إلى درجة أنه يمكن تخطيط حدودها ووضع مواقعها على خريطة وفق مقياس كبير حيث أنها لم تتجاوز الأطلس التلي جنوبا إلا في حدوده الغربية.

أما مواقع السهول العليا (منطقة تيارت) فقد تأثرت بهذه الحضارة قليلا وربما اجتازتها إلى منطقة الهامل. وبناء عليه يبدو أن إنطلاق هذه الحضارة قد تم من الشرق إلى الغرب بسرعة فائقة.

ولم يكن الإنسان الأبيرومغربي ينتمي إلى فصيلة عرقية قائمة بذاتها أي بمعنى ينتمي إلى مجموعة من الناس تربطهم حضارة واحدة، بل ربما أن أحسن من يمثله هو إنسان مشتى العربي الذي عرف بفضل بقايا عدة هياكل عظمية اكتشفت خاصة في مغارة تقع في منطقة بجاية، بأنه يشبه إلى حد ما إنسان كرومانيون (Cro- Magnon) رغم أنه أكثر خشونة منه جسميا ويتفوق عليه عقليا.

كذلك يبدو أن انقراضه كان متأخرا، حيث أنه احتل مناطق واسعة تعود إلى العصر الحجري الحديث.

ومن المسلم به أن أحفاده الأخيرين لا يزالون ممثلين في الجانش (Les Guanches) الذين يقطنون جزر الكناري حتى بداية العصور الحديثة.

ومن جهة أخرى يظهر أن الإنسان الأبيرومغربي سبق في ظهوره الإنسان القفصي، قبل أن يكون معاصرا له.

ولكن حتى وهما متعاصران، فإن حضارتيهما بقيتا مختلفتين جذريا حتى ثورات العصر الحجري الحديث.

وتتمثل سكنى الإنسان القفصي في مواقع الحلزونيات أو الرماديات كما يعبر عنها والتي تتوفر بكثرة في سهول المنطقة القسنطينية ووسط تونس.

ولم يتجاوز القفصي في مرحلته الأولى شمال جبال النمامشة، وقد اختار الأحواض ذات الرطوبة العالية نسبيا حتى سفوح الأطلس التلي، دون أن يتجاوز ذلك إلى المناطق الساحلية.

وهي المرحلة المتطورة التي تتميز بالآلات الدقيقة التي غالبا ما تأخذ أشكالا هندسية يعود تاريخها إلى نهاية الألف السادس قبل الميلاد.

وهذا بناء على نتائج تجربة الكربون رقم (C.14) التي أعطتها منطقة تبسة.

أما الصحراء التي لم يوجد فيها أثر للإنسان الأبيرومغربي فقد سكن جزء منها الإنسان القفصي، حيث نلمس آثاره تمتد من نطقة الجنوب القسنطيني حتى "تيديكالت" (Tidikalt).

وبدوره ينتمي هذا النوع الأخير إلى مجموعة إنسان البحر المتوسط الكبيرة التي لا يزال يرتبط بها الأمازيغيون الحاليون. ويلاحظ أنهم مارسوا عادة نزع الأسنان مثل الأبيرومغربيين، ثم استخدموا في بعض الأحيان عظاما بشرية (في صناعتهم).

وباقتراب الحضارة القفصية من نهايتها، أصبحت مستعدة لمسايرة التطورات الكبيرة التي شكلتها ثورة العصر الحجري الحديث. وقد اجتاحت هذه الأخيرة المغرب القديم والصحراء، حيث عثر هناك على أرقى مراكزها الإفريقية المتطورة.

أما في التل فإن العصر الحجري الحديث كان قصيرا نسبيا وقد تلى طبقته في التراكم الحضارتان الأيبيرومغربية والقفصية. وغالبا ما وجدت بقاياه في أرضية المغارات خالية من كل مظاهر التطور.

في حين يعتقد أن البحر المتوسط لم يعد يشكل حينذاك حاجزا. وأصبح الإتصال بين قارتي أوربا وإفريقيا سهلا.

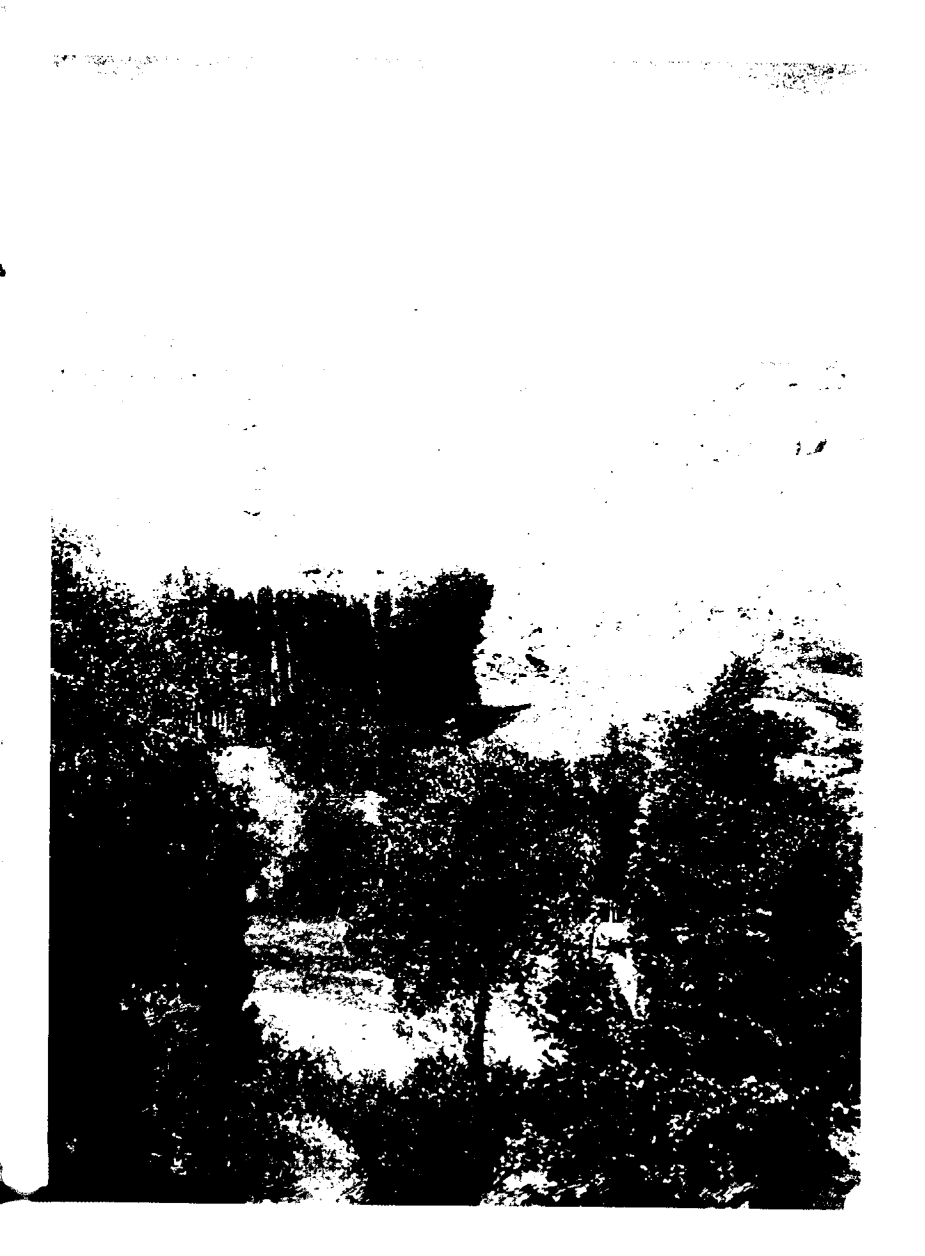
إلا أن قمة ازدهار العصر الحجري الحديث وجدت في الصحراء حيث احتوت على أدوات محلية مختلفة تمثلت في رؤوس السهام وتطور صناعة الحجارة المهذبة التي تبرز مدى صعوبة فن النحت إلى جانب النقوش وخاصة تلك الرسوم ذات الأهمية التي تجعلنا قيمتها الفنية لا نهمل كونها وثيقة قيمة فريدة من نوعها.

وقد اضمحلت حضارة العصر الحجري الحديث أمام زحف الصحراء بطريقة شاملة وفجائية في نفس الوقت، وهي شبيهة في ذلك بتلاشي الحضارة المكسيكية أمام الزحف الإسباني في العصور الحديثة، ويعبر عن ذلك بالكارثة التاريخية في إفريقيا، والتي ربما يكون لها سبب آخر غير الجفاف التام الذي أصاب مناطق مرور العربات الحربية التي تجرها الخيول.

أما المنطقة التلية، فإنها تندرج ضمن عالم البحر المتوسط منذ تلك الفترة وذلك بما تحتويه من مقابر الدولمان (المنضدية) والفخار الملون الذي هو علامة بارزة لبداية الفترة التاريخية ووصول القرطاجيين إلى شمال إفريقيا.

بداية فجر الإنسانية

"حصى عين الحنش المهذبة"



"دخل الإنسان التاريخ بدون مقدمة"

تيلار دي شاردن (TEILHARD DE CHARDIN)

تقع عين الحنش بالقرب من مدينة العلمة (*) حاليا بمحاذاة الطريق الرابط بين سطيف وقسنطينة.

وقد كشفت الحفائر التي قام بها الأستاذ "أرامبورغ" (ARAMBOURG) سنة 1947 عن وجـود بقايـا حجارة مهذبة وسط موقع ذي ترسبات بحرية متحجرة، تعود بقايا حيواناتهـا القديمـة إلى بدايـة الـزمن الجيولوجي الرابع (فترة فيلا فرانشيان Villa Franchien) كما يعرفها الجيولوجيون، وتتابعت التنقيبات فيمـا بين سنة 1931 - 1954 فوق منحدرات حافة الوادي الذي يجمع في أسفله مستحثات رسوبية بحرية أصبحت مرتبة بمرور الزمن ترتيبا أفقيا.

وفي الأفق تظهر للناظر من بعيد التضاريس التي تبين الشواطئ الشمالية للبحيرة القديمة التي تحل مكانها حاليا الأشجار المجاورة لنبع عين بوشريط.

وتبدو المستويات العليا للزمن الجيولوجي القديم الرابع متجهة نحو يمين قمة المنحـدر وبهـا لمسـات الصناعة الإنسانية.

(*) ذكرت في المخطوطة الفرنسية تحت اسم سانت آرنو (Saint Arnaud) وهو ضابط فرنسي برتبة ماريشال قاد جيش الإحتلال الفرنسي أثناء استلائه على بعض مناطق الشرق الجزائري.



... تمثل هذه الصورة التي تظهر أمامنا الأتربة الصلصالية والحجارة التي يزيد سمكها على 200م. وهي تحتوي على بقايا حيوانات منقرضة وآثار أولية لصناعة الإنسانية.

ويلاحظ أنه بعد مئات الآلاف من السنين أقامت مجموعة بشرية أخرى في هذه المنطقة حيث تظهر أماكن سوداء تمثل مخلفات فضلات منازلهم وهي ترمدية قفصية.



وقد تطلبت حفائر الأستاذ أرامبورغ — الذي نشاهده في الصورة وهو في ورشته الأثرية أعمال مسح هامة. وبهذه الطريقة تحول هذا الجزء من المنحدر إلى مصاطب متطابقة فوق بعضها البعض، بحيث احتوت كل واحدة منها على صلصال أسمر أو رمادي اللون، أو على رصيف حجري مدعم بحجارة صغيرة قذفتها الأودية الجارية في مياه البحيرة الهادئة.



يظهر على الصورة سن من [illegible]. وقد حددت مستويات بمطرقة الجيولوجي. ويبدو أن الكثير من هذه الحيوانات كانت تعيش على سواحل هذه البحيرة مثل ما نجده حاليا في التشاد. وهي تنتمي إلى نفس النوع الذي عاش في المغرب خلال حقبة كبيرة من عصور ما قبل التاريخ واستمرت لمدة متأخرة بعد ذلك في الصحراء.



ولم يكن حيوان وحيد القرن نادرا في المنطقة. إلا أن اكتشاف عظام رأس في حالة جيدة تبقى فريدة من نوعها. وهي شبيهة بوحيد القرن الأبيض الموجود حاليا في إفريقيا الوسطى.

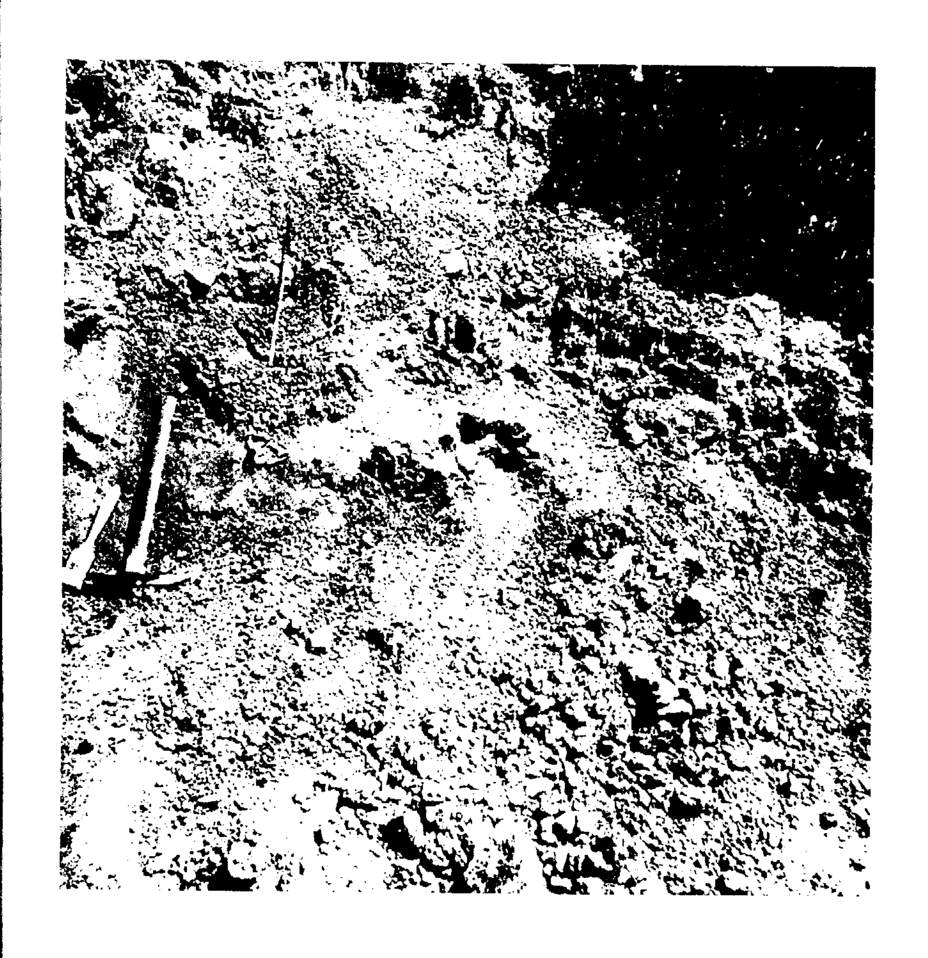
وقد استخرجت هذه الوثيقة أي رأس الحيوان المشار إليه من غطائها الطيني بعناية كبيرة.



وبعد تغليف الكتلة بالجص تصبح قابلة للنقل وتسلم إلى عالم الأحياء لكي يجري فحصها وتحديد هويتها التي تتم عن طريق إزالة الشوائب التي علقت بسطح الأضراس العليا وذلك بواسطة ريشة. وقد تبين بعد الفحص بأنها عبارة عن ضرس لوحيد قرن كبير. وهي أول مرة تكتشف فيها مثل هذه الوثيقة الكاملة التي تعود إلى الزمن الجيولوجي الرابع في الجزائر، رغم أن حيوانات "الصفانا" هذه قد عاشت في مناطقها حتى نهاية عصور ما قبل التاريخ تقريبا.

وتبدو في أسفل الصفحة التي بين أيدينا صورة لجثة الحيوان السابق الذكر، وقد لفت بضمادات جصية حتى تصبح صالحة للنقل ثم تحمل بواسطة صندوق إلى مخبر المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بباريس حيث سيجري هناك اختبار محتواها الثمين بعد التنظيف ثم تعرض للمشاهد بعد ذلك.





إلى جانب بقايا عظام الحيوانات الضخمة مثل الفيل وفرس النهر ووحيد القرن والزرافة والخنزير البري والجاموس ... إلخ. كذلك كشفت الحفائر بقايا عظام أخرى لثدييات متوسطة الحجم نذكر منها الكلب والغزال، وفي الصورة تبرز أحد رؤوس هذه الأخيرة بين الحجارة وإلى جانبها توجد حجارة هذبت بطريقة بدائية تظهر عليها لمسات الصناعة الإنسانية.

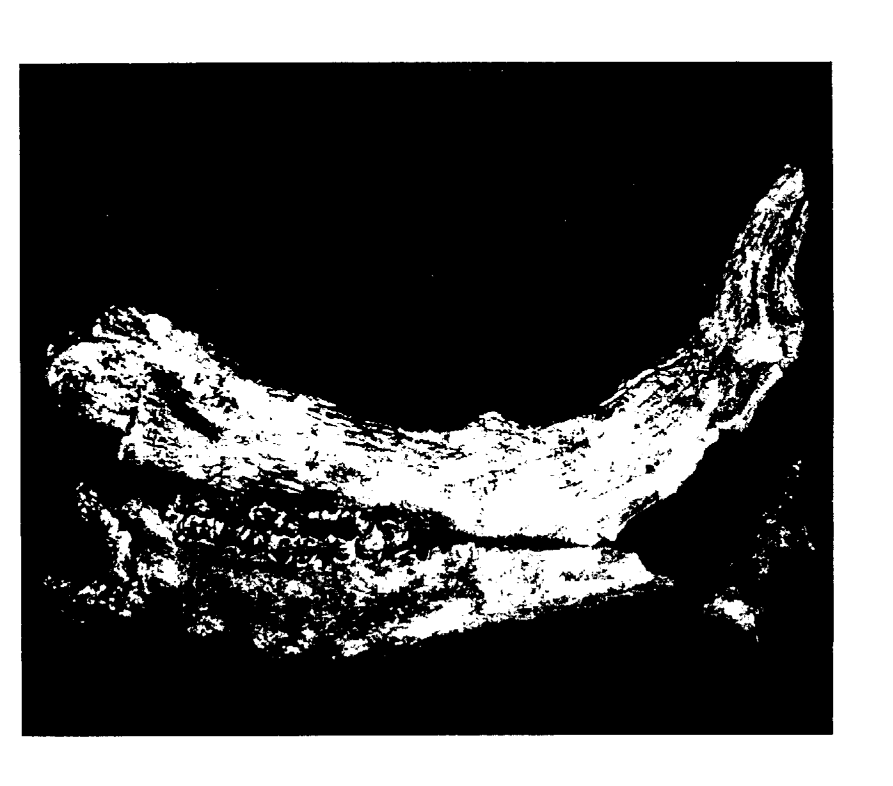


وقد اكتشفت أربعين حجرة ذات شكل كروي خلال حفائر سنة 1947، وتواصل التنقيب أكثر من مرة في نفس المنطقة وخاصة فيما بين سنتي 1953 - 1954.

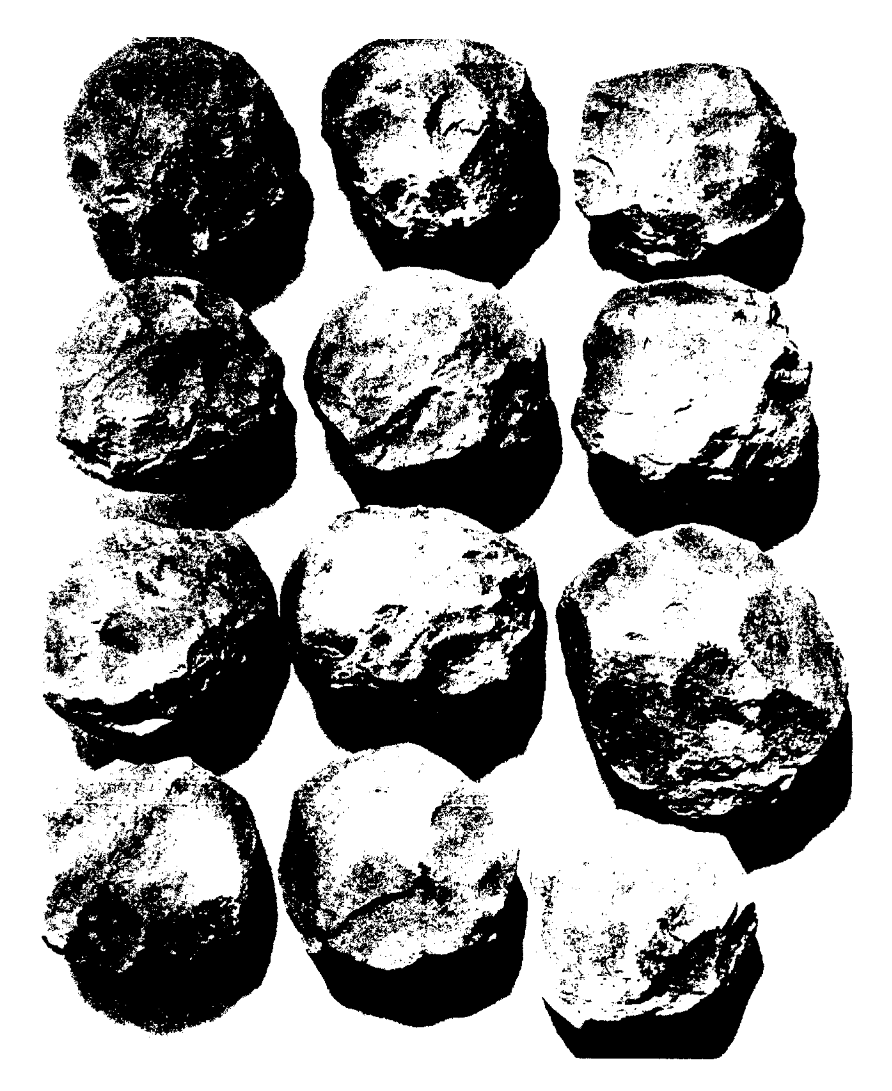
إلا أن نتائج الحفائر الأخيرة كانت هزيلة إذا ما قيست بالأمتار المكعبة التي نقبت حيث كانت نسبتها تقدر بـ 1 لكل 8م^3 وذلك في سنتي 1947 - 1948، ولا يتجاوز حجمها حبة اليوسفي أو البرتقالة أو كويرة لعب صغيرة مثل ما توضحه الكويرات الحجرية الموجودة في الصورة أعلاه.



ويلاحظ أن كويرات عين الحنش المتعددة الوجوه، كانت تستخدم كسلاح وآلة في نفس الوقت من قبل الإنسان البدائي الذي على ما يعتقد أنه كان ضعيفا أمام بقايا آخر الحيوانات الثديية التي واجهها والعائدة إلى الزمن الجيولوجي الثالث كالفيلة ...



... والزرافات البرية ذات القرون الكبيرة والخيول البرية الثلاثية الأظلاف ... الخ.



وكل ما نعرفه عن آلاته الصناعية هي تلك الكويرات الحجرية التي هي عبارة عن حصى مشذبة ومصقولة طبيعيا، هذبها الصانع، بحيث تركت آثار الشظايا التي اقتلعت منها فجوات جعلت الواحدة منها تختلف عن الأخرى.

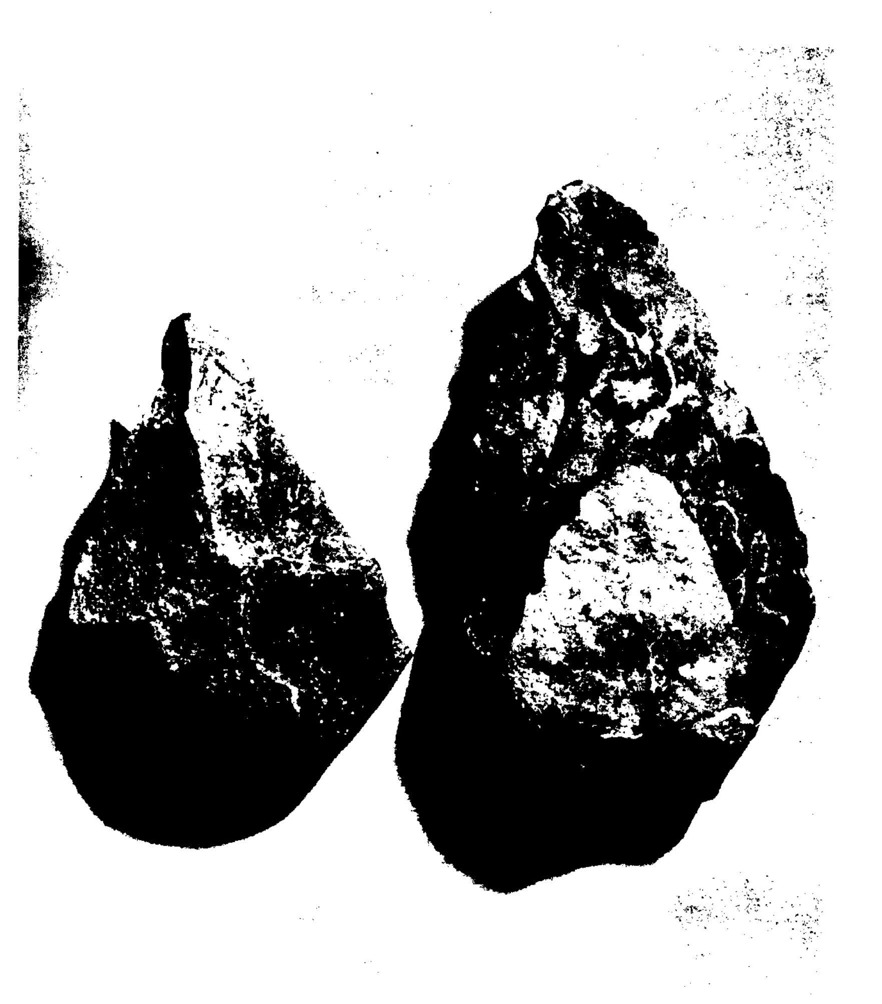


وما من شك في أن تدخل الإنسان في هذه الصناعة يبدو واضحا حيث تتكاثر أنواع الحجارة سواء المدعمة منها أو الهرمية الشكل أو ذات التحويفات المتعرجة التي وجدت لها مثيلات أخرى في إفريقيا. وهي تميز أقــدم صناعة عرفها إنسان ما قبل التاريخ "حضارة الحصى المهذبة" (Pebble Culture).

وفي غالب الأحيان يحتفظ نصف الحصى الأول بشكله الطبيعي بحيث يستعمل كمقبض دون أن يسبب أي ضرر بكف اليد. في حين يصبح الجزء الثاني المهذب حادا وهو عبارة عن آلة وسلاح في نفس الوقت.



إستمر الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ في إستعمال الحجارة بتقنية بدائية حيث نشاهد في الصـــورة أعلاه ما يعرف بحضارة الأدوات (Pebble tools) التي جمعت في مراحل مختلفة للصناعة الأشولية سواء تلـــك التي عثر عليها في موقع شامبلان بالمدية — الجزائر – أو موقع سيدي عبد الرحمن بالمغرب الأقصى أو سيدي زين بتونس . . .



غير أن الآلات والأسلحة قد تنوعت شيئا فشيئا. هذا وأن أول مرحلة من التنوع المشار إليه تظهر في الإنتقال من الحصى المزودة بحافة متعرجة إلى الحصى ذات الوجهين (Biface) أو الفأس الباليوليتية.

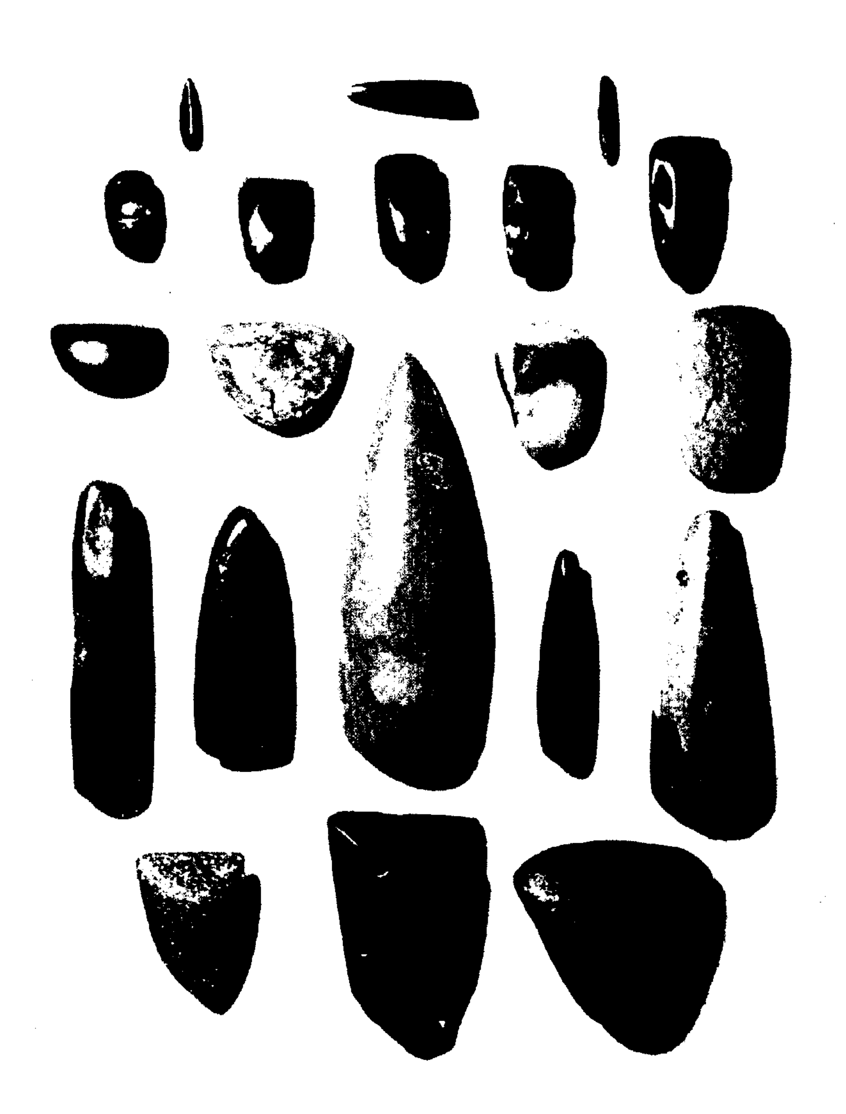
وقد توافر الكثير من هذه الآلات منتشرة بها في موقع عين الحنش. وليس هناك ما يؤكد تواجدها في مستويات متناضدة فوق تلك الطبقات التي تحتوي على الكويرات المتعددة الوجوه، إلا أن حدوث ذلك ممكنا في بعض المواقع الأثرية.

وهكذا نلاحظ بداية بقايا اللمسات الإنسانية في مواقع تلك الترسبات البحرية التي تظهرها عين الحنش بالعلمة، حيث يمكننا معاينة المستوى الذي دخل فيه الإنسان مسرح الحياة في هذا المقطع الأرضي الذي تراكمت فيه الطبقات منذ الزمن الجيولوجي الثالث. وهي عبارة عن ترسبات صلصالية وحجرية أتت بها روافد الأودية التي كانت تصب في البحيرة الكبيرة.

وقد احتوت هذه المستحثات على بقايا حيوانات منقرضة كانت تعيش حينذاك على شواطئ البحيرة. و لم نعثر لها إلا على بقايا متحجرة. حيث وجدت من بينها أنواع خاصة تميز العصر الجيولوجي الرابع في المغرب القديم. ويبدو أن الإنسان صانع الكويرات الحجرية ذات الأضلاع كان قد ظهر خلال الفترة التي تنتمي إليها هذه الأخيرة.

و لم تظهر فؤوس العصر الحجري القديم البدائية الصنع إلا بعد إزالة ركام اشتمل على عدة طبقات مترسبة تحتوي على الكويرات الحجرية السابقة الذكر. والفؤوس المشار إليها وهي ما عرف بقبضة اليد التي لا زالت غير مستقلة كلية عن الحصى البدائية الصنع.

ولا يفهم هنا أن كويرات عين الحنش أول حجارة صنعتها يد الإنسان، بل المراد هو تبيان بأنها أقدم ما هذبه الإنسان واستعمله في حاجياته اليومية. وبالتالي فهي تثبت لنا بداية تكوين ذكاء الإنسان **يجعله يتفوق** عن بقية الحيوانات الأخرى.



النيوليتي الصحراوي. صناعة الحجارة المصقولة

مجموعة الكولونيل تيريي (Thiriet) مقياس حوالي G.N 4/5

تغنفين والإنسان الأطلسي

(لا تزال رملية تغنفين ... تخبئ لنا المفاجآت)

أ. بومال (A.POMEL) 1888.



علم الوسط العلمي في شهر جوان من سنة 1954. باكتشاف جديد في رملية تغنيفين يتمثل في فكوك سفلية بدائية جدا يعتقد بأنها تنتسب إلى إنسان مماثل للإنسان الشبيه بالقرد الذي اكتشفت بقاياه العظمية في جزيرة جاوة بأندنوسيا



تقع رملية تغنيفين على بعد مئات الأمتار غربي قرية باليكاو PALIKAO قرب معسكر. وقد شرع في تنقيب هذا الموقع الأثري ابتداء من سنة 1872 وهو يتشكل من هضبة رملية ذات لون أبيض احتوت على عدة أضرحة تحيط بها مجموعة من المقابر.

وبالقرب من هذه الأخيرة اكتشف أحد المعمرين الفرنسيين في تلك الفترة. وهو السيد بالافوان (M.Balavoine) مجموعة عظام بشرية متحجرة بعد مدة قصيرة من الشروع في العمل بأرضه الزراعية.



وقد كشفت الحفائر التي أجريت في موقع تغنيفين أثناء مؤتمر سنة 1888 عدة بقايا عظمية بحيث جمعت حوالي 130 كلغ من العظام خلال ثلاثة أيام. إلا أن مجاورة الموقع للمياه المتدفقة عطلت الأبحاث.

وحتى سنة 1954 لا زالت تظهر بقايا الخنادق القليلة العمق التي نقب فيها – ب. بالاري (P.PALLARY) و س .أرامبورغ (C.ARRAMBOURG) –

أما بقية الرملية التي لم تنقب بعد فقد غطيت أعماق مستنقعاتها بأنقاض الحجارة غير الصالحة التي رميت أثناء التنقيب في الأماكن القريبة منها بالإضافة إلى الأعشاب.



وعندما كلفت "الجزائر" الأستاذ "أرامبورغ" بمواصلة الأبحاث ومنحته وسائل معتبرة للقيام بعمله، كان أول شيء قام به هو تنظيف النصف الجنوبي من المحجر القديم بواسطة جرافة آلية (BULL-DOZER)، وبذلك أقـــام حاجزا حقيقيا من الرمال لصد المياه المتدفقة، في حين افتتحت ورشة فوق المساحة الباقية من الموقع.



ومنذ البداية كان لا بد من وضع مضخات للحد من ارتفاع منسوب المياه المتدفقة، وعليه كان لا بد من توسيع المسح حتى يعم الرملية بأكملها، وبالفعل فقد تم ذلك خلال 1955 - 1956. وقد استخدمت تقنية عالية هذا الغرض بفضل مساعدة مصلحة المياه المحلية.



نلاحظ في الصورة المنظر الذي كانت عليه الورشة يوم 21 ماي 1956 لا سيما الطرف الشرقي منها. وقد أقيمت حفائرها على شكل مدرجات تشغل أكثر من 100 عامل، واستعمل ثلث العتاد في عملية المسح هذه، وفي الأسفل أقيم بئر لامتصاص المياه مزود بمضخة لمقاومة ارتفاع المياه المتدفقة. وقد توزع أعضاء البعثة في مجموعات تقوم بأعمال متنوعة بحيث يتم الحفر على يسار المضخة وترفع الرمال بواسطة المجرفة حتى السطح الذي يقودها إلى شبكة ديكوفيل (Decouville).



تبدو المراحل المشار إليها آنفا بوضوح عندما يكون المنقبون في استراحة، حيث مـدت خطـوط سـكك حديدية تؤدي إلى جوار خزان المياه المحمولة إلى قمة المرتفع. وتنسكب (هذه المياه) في أحواض التصفية الـتي خصصت لها، وهو الجهاز الذي وضعته مصلحة المياه تحت تصرف ورشة تنقيب تغنيفين.



لقد كانت المشكلة التي واجهت المنقبين فعلا هي تلك التي تتعلق بغربلة كمية كبيرة من الرمال، حتى تستخرج منها العظام الصغيرة والأسنان أو كل ما يمكن ملاحظته في الحفائر. و لم تأت طريقة الغربلة العادية التي يقوم بها العمال إلا بنتائج غير كافية. في حين ساعدت طبيعة الرمال السهلة التحريك على الغسل عن طريق رش المياه التي تجرف الرمال، وتحتفظ بالأدوات الأثرية الكبيرة في أحواض. وقد تم الفرز بواسطة تناضد غرابيل متنوعة الثقوب.

ولا داعي لتوقيف الآلة من أجل ملاحظة وفرز وترتيب محتوى الأحواض لأنها تعمل باستمرار لكي تعوضها أخرى محملة بالرمال، بدون توقف. وبقدر الإمكان ساعدت هذه التقنية على التوفيق بين سعة الأرض غير المستعملة في التنقيب، والانشغال بالمراقبة الدقيقة التي تعترض دارس ما قبل التاريخ.

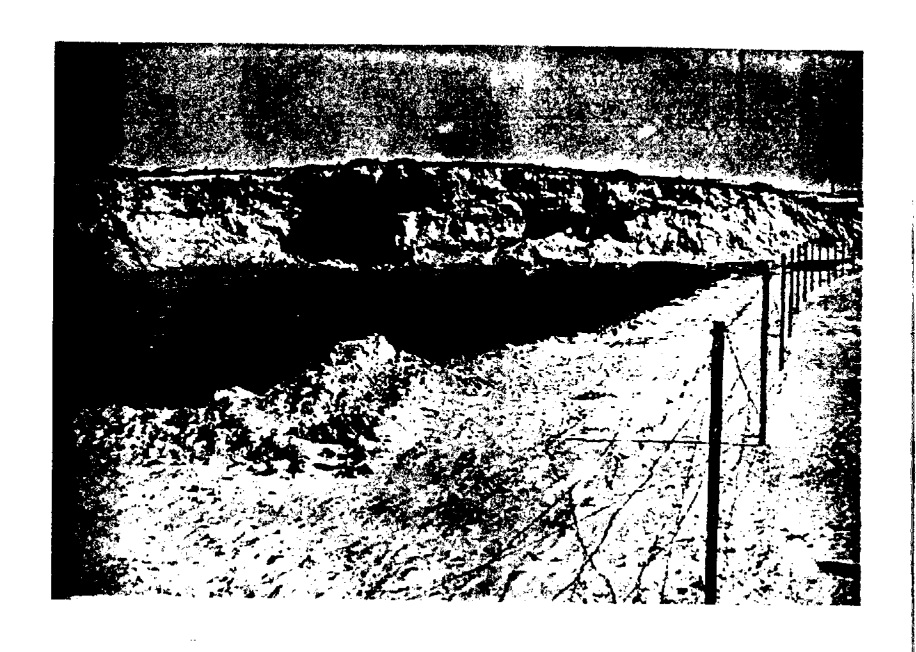


أعطت تلك الوثائق التي جمعت بهذه الطريقة نتيجة مؤقتة متمثلة في تشكيل مخبر متنقل تقام فيه العمليـــات الأولى الضرورية لأحكام تغليف (الأداة الأثرية) وتوجيهها بعد ذلك إلى مخابر الجزائر العاصمة (متحف باردو)، و إلى متحف باريس، وعلى أثر كل حملة تفتيشية، تجمع عشرات الأكياس من العظام والحجارة المهذبة.

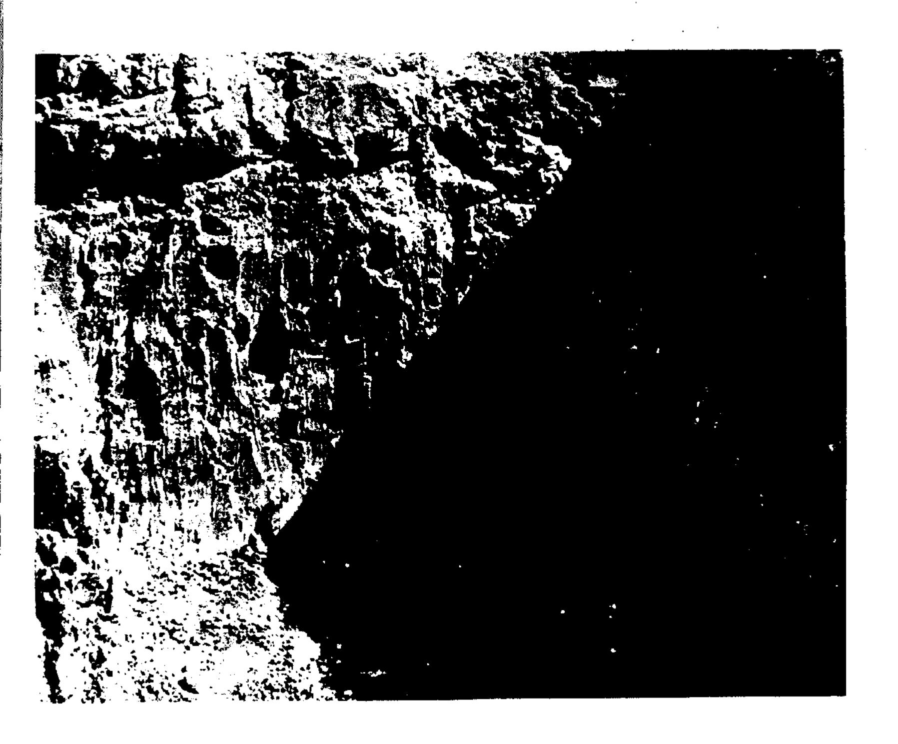


ومباشرة بعد انتهاء الحفائر، اجتاحت المياه الآخذة في الارتفاع الورشة المهجورة وشكلت بحيرة بلغ عمقها عدة أمتار. وبفعل هبوب الرياح الغربية تشكلت موجات صغيرة اصطدمت بالشواطئ الصخرية المحيطة بالمقبرة.

ويمكن لهذه الصورة التي التقطت بمهارة أن تعطي للناظر مشهدا خياليا لطبيعة ساحلية، تقع في ركن من أركان السهل الداخلي المستغل في زراعة أشجار كروم معسكر.



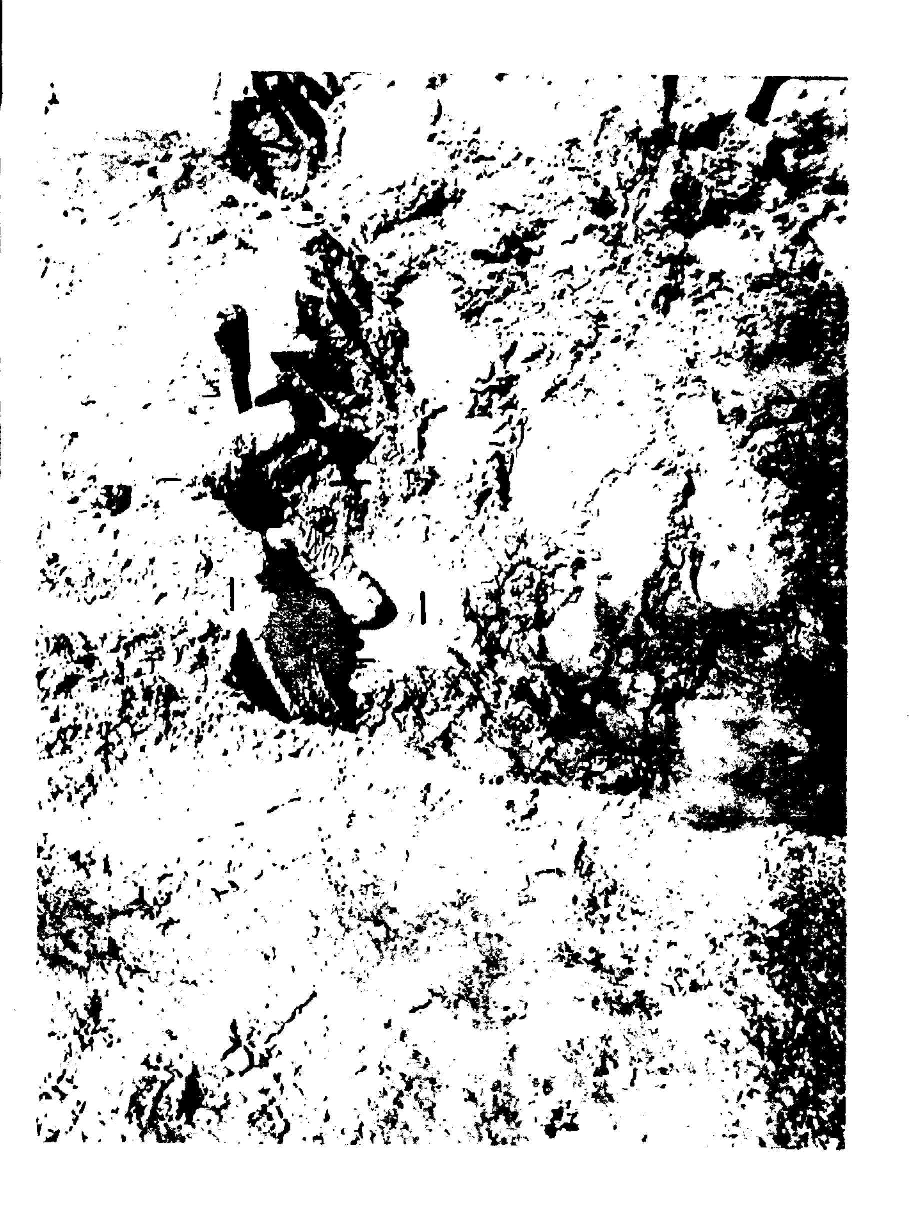
وإلى جانب أشجار العليق الاصطناعية، حفظ احتياح المياه الشتوية الموقع الذي يرجع إلى الزمن الجيولوجي الرابع – من نهب الإنسان – غير أن هذا المنظر يشذ عن المشهد السابق الذكر، ذلك لأن المكان الطبيعي الذي عرفه إنسان ما قبل التاريخ في فترة الإنسان الأطلسي، كان يضم مشهد بحيرة أوسع من هذه، تحيطها شواطئ مزينة بالورود الملائمة لمراقبة الطريدة عندما تأتي للشرب.



لقد وصلت حفريات سنة 1954 فعلا إلى الرمال الناعمة التي توجد بأسفلها ذات اللفائف الملتفة حول بعضها حيث توجد قاعدة باطنية لحفرية قديمة كانت تشكل منبعا للمياه الدافقة، وينحني السطح الصلصالي نحو الوسط بسرعة أكثر فأكثر، وهنا توجد أقدم الآثار، حيث اكتشفت بعض الوثائق ذات الأهمية البالغة مباشرة بعد الطبقة الصلصالية ضمن كتلها الطبيعية، ومن بين تلك الوثائق فك سفلي للإنسان الأطلسي.



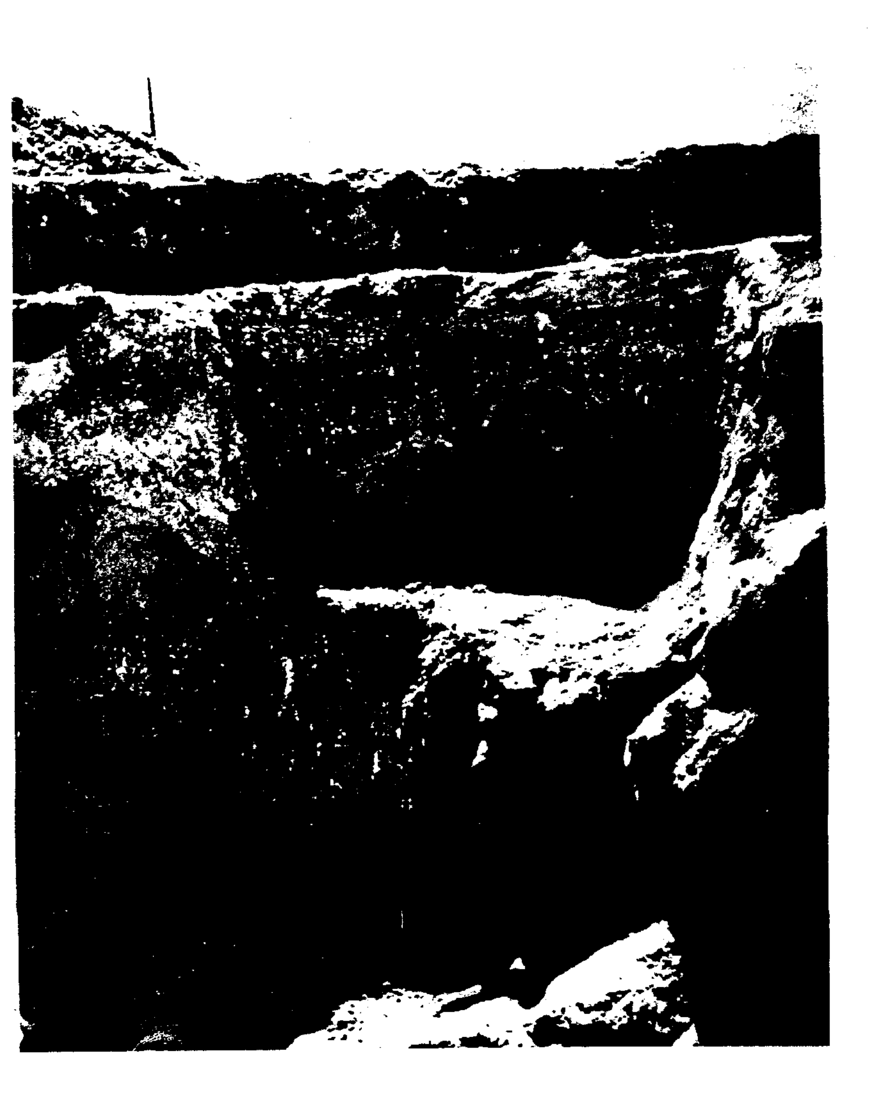
تظهر في الصورة عظام ضخمة لإحدى الأطراف العلوية الأمامية لفيل، وقد انتزعت من غطائها الرملي، و لم تغلف بعد بالجص.



يبدو في الصورة ضرس فيل أطلسي...



يظهر في الصورة ناب لفرس نهر.



يلوح في الصورة أعلاه رأس فيل مترسبة في أسفل مقطع الرملي. وقد اكتشفت في سنة 1955 خمسة رؤوس خيول وحشية مخططة على نفس الوضعية سالفة الذكر. إلى جانب الكثير من الوثائق التي لم تعرف حتى ذلك الحين إلا في شكل بقايا غير متكاملة.



تظهر في الصورة أعلاه بداية الصناعة (الإنسانية) حيث تبدو لأول وهلة فأس ذات شفرة مستقيمة وعمودية بالنسبة لمحور الحجارة المهذبة. وهي نموذج لصناعة العصر الحجري القديم الإفريقي.



لم تكن صناعة تغنيفين مأخوذة من حجارة نسيلاكس، إلا في حالات قليلة، ذلك أن الإنسان الأطلسي كان قد استعمل الحجارة الرمنية وجيرية نسبية مقاومة. ولذلك كان جزء كبير من آلاته متآكل إلى حد أنها فقدت أشكالها الطبيعية وأتلفت بعض قطعه.

وكمثال على ذلك الفأس ذات الوجهين المصنعة ببعض التي تظهرها الصورة، وقد وجدت مجزأة إلى ثلاث قطع.



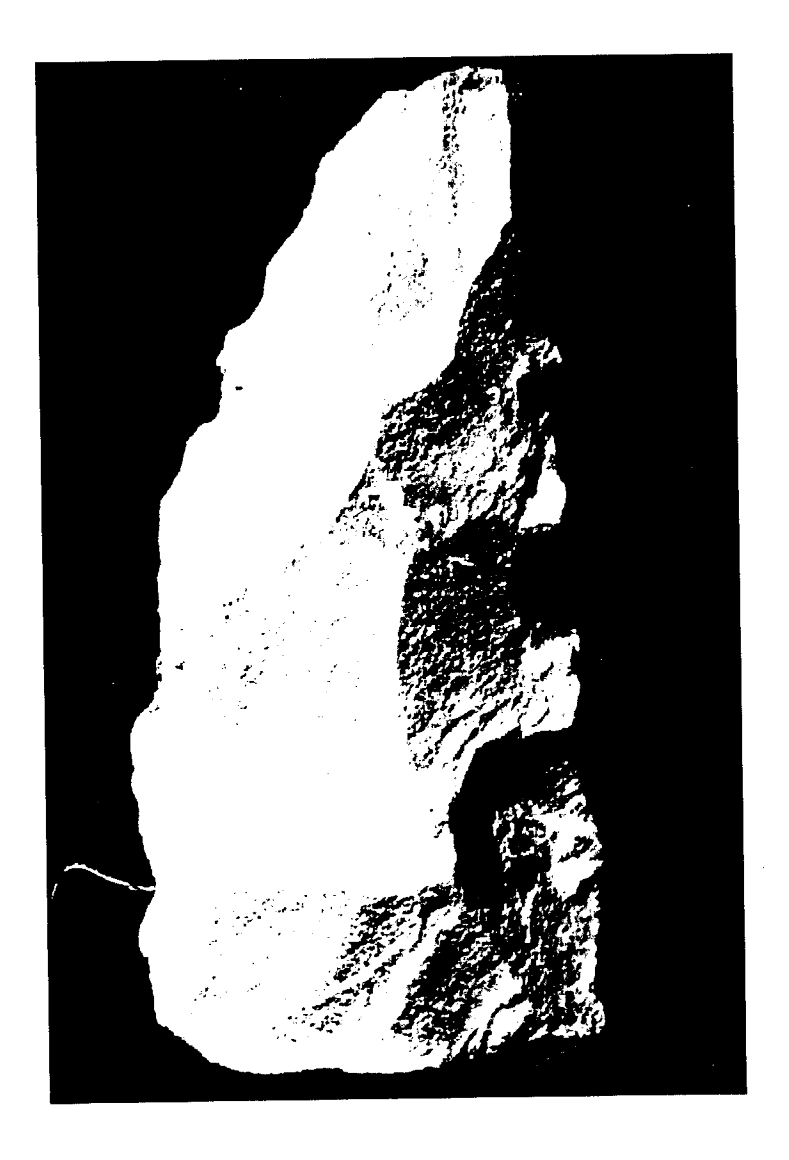
كانت كل الحجارة المهذبة رديئة الصنع، مما اضطر الصانع إلى أن يستعمل دائما حجارة إضافية كسندان أو قادح. وقد استمر استعمال الأشكال القديمة المشار إليها والقريبة من حصى عين الحنش المهذبة، وهو النوع الأكثر شيوعا وتطورا من حضارة الأدوات هذه. واحتفظ بسطح الحصى المهذب واستخرجت منه شفرة متعرجة عن طريق نزع الشظايا بتناوب الطرق على الوجهين، ذلك أن الخط المنكسر الذي يميزها رسم بطريقة خاصة حتى تشكل حوافي فؤوس العصر الحجري القديم (أنظر الصورة أعلاه).



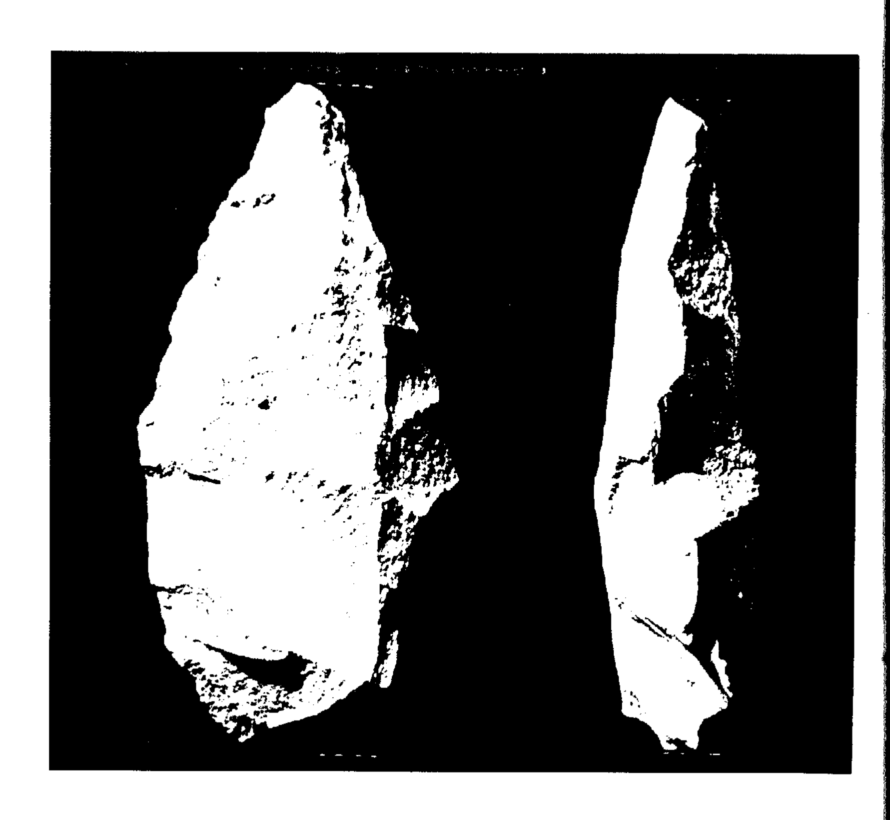
يوجد كثير من الحصى التي هذبها الإنسان الأطلسي وفقا للطريقة المشار إليها آنفا. وبناءا عليه، فقد وجدنا أنه ليس من الضروري عزلها عن بقية الآلات الأخرى لأنها لم تكن أقدم منها. وعلى العموم فإنها تتسم في مجموعها بلمسة موغلة في القدم. وقد ترتب عن انتشار طريقة التهذيب تحديد تدريجي للجزء المراد استعماله من الحصى، ثم مكن بدوره من انتزاع الرأس وتهذيب الوجهتين الحادتين (أنظر الصورة أعلاه).



يظهر في الصورة أعلاه تشذيب فأس حجرية ولم يبق من قشرة الحصى سوى القاعدة وجزء من الواجهة الأخرى، وسنراها تختفي نهائيا (في الأشكال الآتية).



يكون شكل الآلة المحصل عليها في الغالب ضخم ومثلث. ومنها اشتق اسمها (ثلاثيــة الوجــوه) (Trièdres) المعروفة عند دارسي ما قبل التاريخ. ويلاحظ كثرة ثلاثية الوجود في صناعة الإنسان الأطلسي بتغنيفين.



والجدير بالذكر أنه يمكن الحصول على أشكال أكثر أناقة في تناسقها وأقل خشونة وذلك عن طريق التهـــذيب تدريجي. كما اعتبرت الفأس ذات الوجهين أو "قبضة اليد" أو "الفأس المهذبة" كما يسميها البعض مـــن الآلات لأكثر تطورا والمكتشفة حتى الآن في تغنيفين. وعلى شاكلة ما وجد في الأدوات الأخرى التي هذبت مـــن قبـــل لإنسان الأطلسي.

فإنه يبدو بأن تعرجات الشفرات وآثار الشظايا المنزوعة، وانعدام التعديل عن طريق – التنقيحات الثانوية – تثبت الإستعمال الفعلي للقادح الحجري، وتعود هذه الصناعة إلى الزمن الجيولوجي الرابـــع، وبالتحديـــد إلى مستهل حضارات ما قبل التاريخ التي نعطيها اسم "الأشولية".



وهناك الكثير من الشظايا التي تشكلت نتيجة طرق عنيف وذلك بضرب كتلتين ضد بعضهما البعض ثم تهذيب الكتلة المراد استعمالها.

والشكل المستهدف أكثر هو ذلك الذي يعطي نصل شفرة مستقيمة تقريبا وعمودية نوعا ما بالنسبة لمحور الآلة.




وقد سميت تلك الآلات التي توفرت بكثرة في الأشولي الإفريقي، وفي تغيفين بالذات، بالبليطات، وتطورت صناعتها على مر العصور حيث تمكنا من تحديد عدة مراحل لها متتالية اقترنت بها في تغيفين من بداية العصر الأشولي الإفريقي.

إن مثل تلك الآلات سواء كانت مزودة بمقبض أو بدونه فهي تستعمل في قطع الأخشاب أكثر من الفؤوس، وبذلك نستطيع أن نفترض بأنها كانت فأس الحطاب البدائي حيث تثبت أثلام شفرتها في كثير من الأحيان الإستعمال العنيف لهذه الفؤوس.



أظهرت نتائج التنقيب — التي تمت في سنة 1954 بتغنيفين — فكين سفليين ذوي طابع بشري يبعـــد الأول عن الثاني بحوالي 20م، وقد وجدا في أسفل الموقع الأثري. ومن أول وهلة لاكتشافهما اعتقد بأن أحدهما كان لذكر و الثاني كان لأنثى وهو أقل خشونة. ولأن كل من الفكين اتصفا بشدة الصلابة ويتميزان بانعدام نتـــوء الذقن، في حين لا يحتل اللسان إلا مسافة صغيرة بالنسبة لحركته الآلية ...

أما الأسنان فهي كبيرة الحجم. وقد تبين من الدراسة التشريحية الدقيقة أن تلك الوثائق تتميز بطابعها الخاص.



عن كل الأجناس البشرية الحالية، وحتى عن أجناس ما قبل التاريخ، باستثناء الإنسان البدائي المتمثل في بقايا
نسان نياندرتال. الشيء الذي أدى إلى الاعتقاد بتقريب الإنسان الأطلسي إلى الكائنات الموغلـــة في القـــدم،
ومنها الإنسان الشبيه بالقرد الذي اكتشفت بقاياه في كل من جاوة (Pithicanthropes) والصين (Sinanthropes)
ونه عدة مواصفات تربطه بهذا النوع الأخير. إلى جانب ذلك أسفرت نتائج حفريات سنة 1955 بتغنيفين على
فك سفلي ثالث وعظم جمجمة (Pariétal).



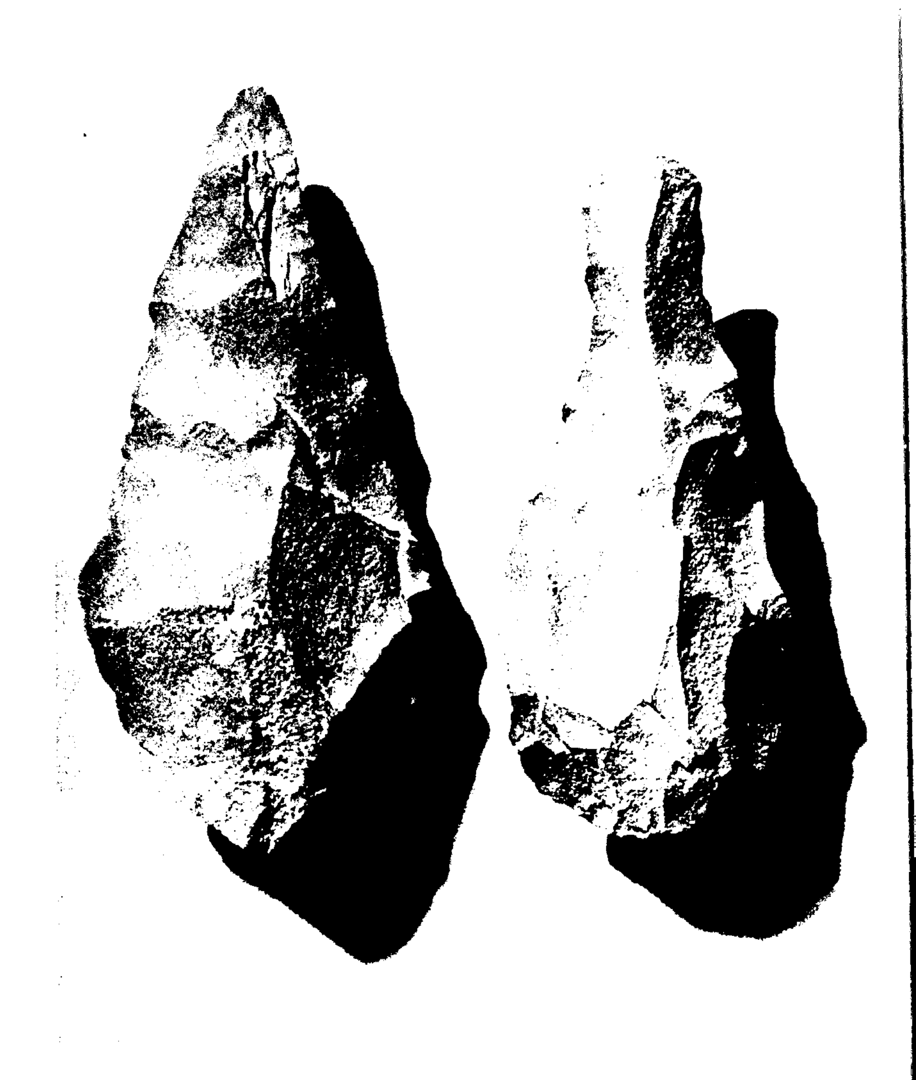
وإذا أردنا أن نقارن أبعاد الفك السفلي الذي اكتشف بتغنيفين بفك الإنسان الحالي، نجد أن الأول كـبير جدا. لذلك فهو يعد اكتشافا ذا أهمية كبرى حيث يعطي فرضية جديدة لدراسة الإنسان البدائي المعقدة.



وإذا كانت بقايا الإنسان الأطلسي لم تكتشف حتى الآن ما عدا في تغنيفين، فإن هناك مواقع متعددة في جزائر. أعطت هي الأخرى بقايا كثيرة تعود لفترة ما قبل التاريخ. نذكر مثلا الحجارة المهذبة المشابهة لتلك التي نسبت صناعتها للإنسان الأطلسي، وهي عبارة عن حجارة ضخمة اقتطعت من المادة الأولية في شامبلين (Champlain) قرب المدية ...



... وعرفت "بالنواة" التي تتشابه مع تلك التي وجدت في إفريقيا الاستوائية كما توضحها الصورة.

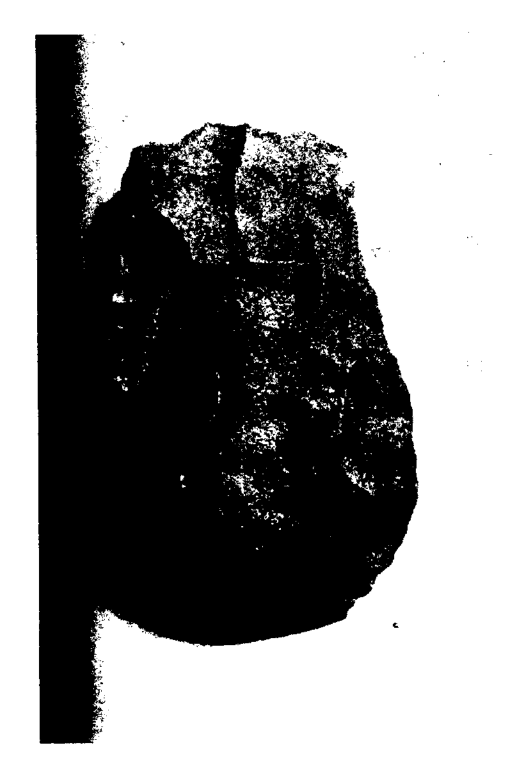


ترافقها حصى مهذبة وبليطات وفؤوس ذات وجهين كبيرة الحجم هذبت بواسطة الضرب بين كتلتين، ومن غير الضروري أن يكون طرفها الضيق دائما حادا ....

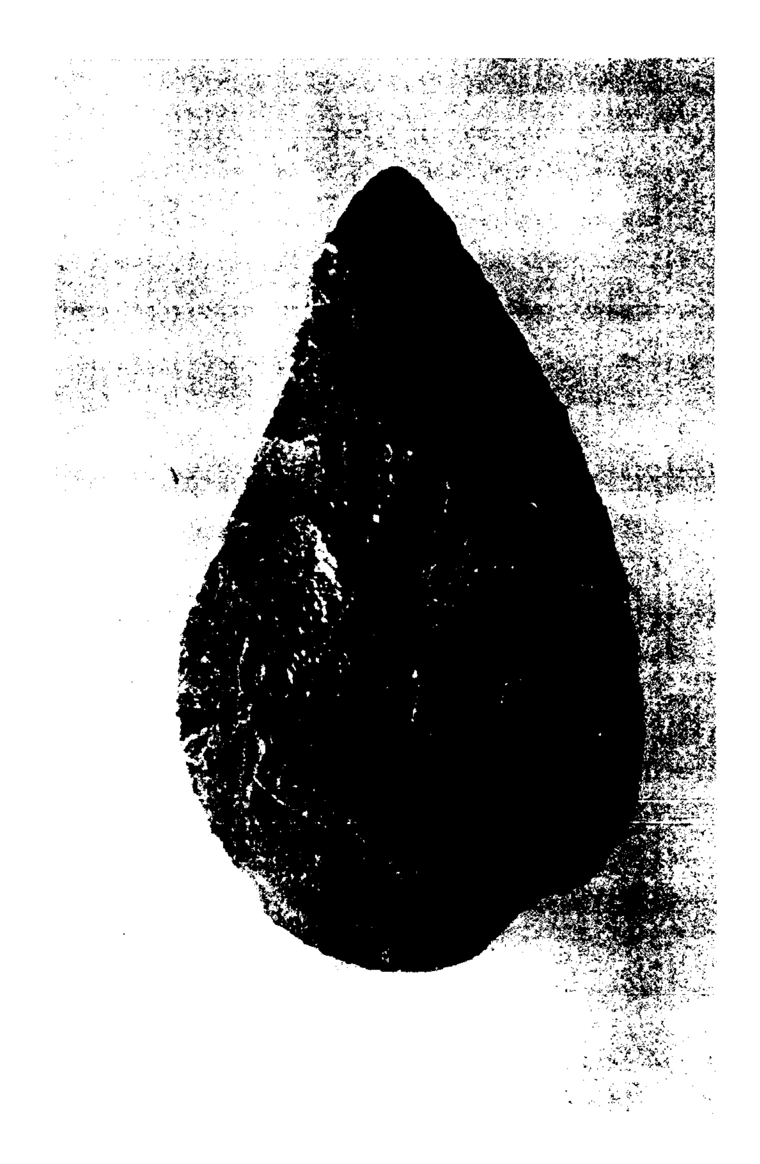


لم يكن موقع تغنيفين – برماله المتراكمة خلال فترات العصر الجيولوجي الرابع ومياهه المتدفقة – المثل الوحيد في الجزائر، حيث كانت بحيرة كيرار في شمال تمسست هي الأخرى غنية بالمياه المرتفعة، رغم أنها حاليا تمثل جدولا بسيطا جافا. وقد استخرجت منه سنة 1896 بقايا ثدييات منقرضة من بين وسط الحجارة المهذبة والموجودة داخل الرمال ذات اللون الرمادي الداكن مع وجود آلات مضيئة "تبهر للناظر" وكأنها قد طليت بطلاء لامع.

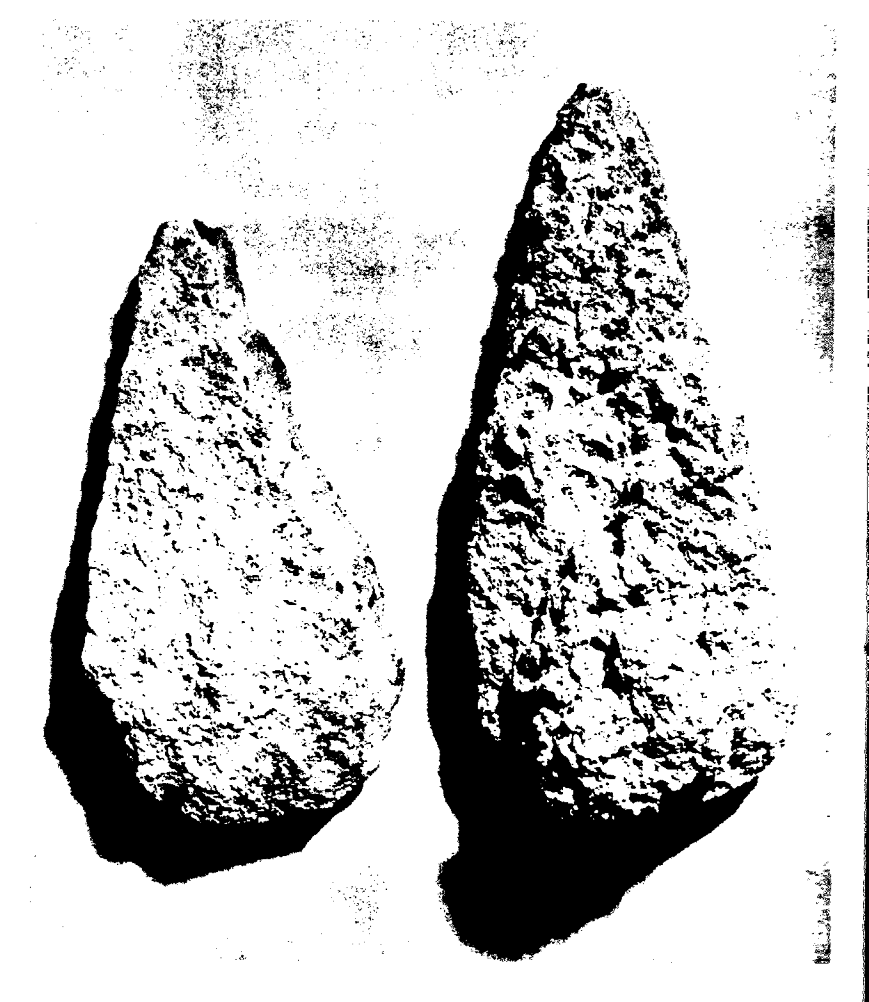
و لم تلاحظ هذه الظاهرة في الجزائر فحسب. بل وأيضا في المغرب الأقصى.




ووجدت كذلك نفس الأشكال أي الحصى المهذبة وثلاثية الوجوه في بحيرة كـــيرار، وأيضـــا تـــوفرت نبليطات في تغنيفين.



إن هذا الدليل الأثري الذي أعطته بعض فؤوس حجرية ذات الوجهين يعد أحدث شيء وجد وهو يقربها
إلى الحضارة الأشولية المتطورة.



توضح الصورة أعلاه بعض النماذج للفؤوس الأشولية التي جمعت من أرضية ضفاف أوديتنا القديمة، لا سيما بالقرب من تلمسان. وقد أثرى موقع أوزيدان تلك المجادلات الطويلة التي كانت تدور بين المختصين ذلك أن الطبيعة الجيولوجية للموقع لم تعرف بعد.

كما فترض البعض أن الإنسان الأشولي كان قد سكن الكهوف، وبذلك فإن الحجارة المهذبة الـــتي عثـــر عليها تعود في الواقع إلى نوعية نفس الصخور التي حفرت فيها المغارات في العصر الحجري الحديث.



لقد عثر على أكبر مجموعة من الآلات الأشولية متأخرة في منطقة جنوب تبسة، وعلى وجه التحديد في سهل الماء الأبيض، حيث عثر على شاطئ البحيرة (جفة حاليا) على عدة ملايين من الصوان المهذب في شكله المعتدل والمنقح بشكل جيد. ومن بين الآلات التي يمكن رؤيتها تلك الفؤوس الحجرية الثلاث التي تظهر في الصورة أعلاه.



لم تكن الصحراء المترامية الأطراف معزولة عن المشاركة في تاريخ العصر الحجري القديم الأسفل الذي دام فترة طويلة. فقد كانت حينذاك شديدة الإختلاف عما هي عليه الآن، ذلك أن انتشار البحيرات هنا وهنـــاك مثلما وجد في تشاد إلى جانب طبيعة السفانا التي تعم المنطقة. كل ذلك ساعد على وجود حيوانات استوائية. مما يجعلنا نعتقد أن المنطقة الصحراوية كانت ملائمة للحياة البشرية. وقد اكتشف دوفيرييه (Duveyrier) بموقع تيهودين (Tihodaîne) بالهوقار عددا كبيرا من عظام الحيوانات المنقرضة والآلات الأشولية المصنوعة من الصخر البركاني بالإضافة إلى مجموعة من البليطات.



... إن تراكم هذه الصناعة البشرية القديمة في الصحراء الغربية أدى إلى تعقيد التصور (في هذا المجال)، حيث أنه بالرغم من النتائج المعتبرة التي تخص عينة ملازم سيزار (César)، فإن مواقع تبلبالة – تشنغيت– لم تستغل بكاملها بعد، حيث استخرجت من موقعها عدة فؤوس ذات وجهين كبيرة الحجم تم تهذيبها بواسطة الطرق بحجارة أخرى ...



... إلى جانب بليطات من نوع خاص اكتشفت مغطاة بالتربة، وقد بينت تلك البليطات تطورا ملحوظـا من الطريقة التي هذبت بها. حيث تم إعدادها كلية قبل فصلها عن كتلة المادة الأولية. ولذلك أصبح الفصل هو عملية الأخيرة في صناعتها حتى تعطي أداة جاهزة. وقد عرفت، هذه التقنية بصفة جيدة في فترة لاحقة بفرنسا، وهو ما عرف بالطريقة اللفلوازية (Levalloisienne) حيث تفصل الحجارة المهذبة عن النواة بطريقة خاصة. وقد وجدت نماذج لهذه التقنية في مواقع محاجر نهر السين (La Seine) القديمة على مداخل باريس.

وهكذا ينتهي العصر الحجري القديم الأسفل في الجزائر، وهو أطول وأغمض فترة عرفتها مرحلة ما قبل التاريخ، ذلك أنها امتدت لمئات الآلاف من السنين ومثلت هي وحدها تسعة أعشار عصور ما قبل التاريخ. لذلك فهي تعطينا فكرة حقيقية عن التاريخ القديم دون مراعاة التوازن مع بضعة عشرات القرون التي تبعدنا عن بداية التاريخ.

كل ما سبق يجعلنا نعلم بأن الطبيعة المغربية أو الصحراوية التي عاش فيها الإنسان البدائي كانت تختلف عن تلك التي نراها حاليا. فقد تسمى تلك الفترة بعصر الفيل الأطلسي وأفراس النهر والظبي والغزلان ووحيد القرن والخيول الوحشية المخططة الظهر. وهي تماثل بيئة ضفاف التشاد وزامبيا منقولة إلى المغرب والصحراء إنها طبيعة السافانا الإستوائية وأودية بيران والبحيرات والمستنقعات التي قامت فيها حضارات العصر الحجري القديم الأسفل.



سكاكين حجرية تعود إلى العصر الحجري الحديث الصحراوي، وقد هذبت وفقا لطريقة الفؤوس ذات الوجهين سلسلة العقيد تيريي (Thiriet) مقياس حوالي 4/5 G.N.



العاترية

"حضارة إفريقية خالصة"



(لم يكن للرؤوس الحجرية العاترية الملساء في شمال إفريقيا أية صلة برؤوس سكاندينافيا (La Scandinavie) أو جزيرة الباك (L'Ile de Pâques) ولا برؤوس فون روبرت (Font- Robert) أو ليموي (Limeuil).

وبالتأكيد فإن الشكل يبقى غير تام، إلا أن الشيء الأساسي في الموضوع يتمثل في التقنية).

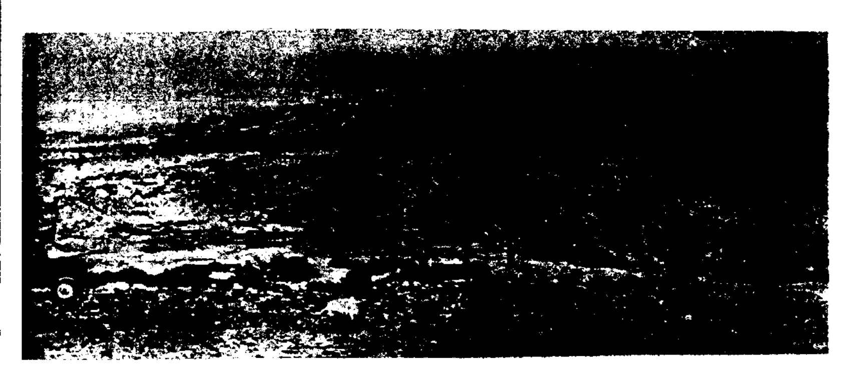
القس هنري براي (A.H. Breuil)

لا يزال يجهل لحد الآن كيف تم تعويض الصناعات الأشولية، بما احتوته من فؤوس ذات الوجهين وبليطات صناعات مرتبطة عموما بالحضارة الموستيرية بإفريقيا.

والجدير بالذكر أن القضية لم تكن سهلة في فرنسا هي الأخرى حيث يدور الجدل حول الصناعة الفلوازية التي تمتد جذورها إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وكذا الصناعة التاياسية (Tayacien) التي يعتقد بأن صانعيها أقرب شبها بنا أكثر منهم بعدا عن الإنسان النياندرتالي الذي يفصل بيننا وبينهم من حيث التسلسل التاريخي.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن بصمات الإنسان النياندرتالي في الجزائر قليلة جدا حيث لم تكتشف حتى الآن غير يد البشرية بين الصناعة الحجرية المصقولة التي تنسب إلى الإنسان العاتري الصانع (L'Homo-faber)

حين كشف لنا هذا الجزء من إفريقيا عن مظهر أصيل لصناعة خاصة معاصرة للإنسان النياندرتال ربما تكون قد ظهرت في الجزائر و لم تتجاوز حدود المغرب والصحراء.





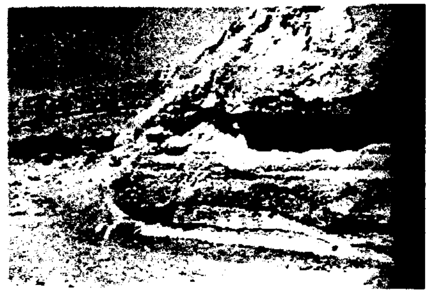
تعني تسمية "الحضارة العاترية" تلك الصناعة الخاصة بالعصر الحجري القديم "الأوسط" والتي تشكلت من الشظايا، ويمكن القول أنها تنطبق إلى حد ما على الحضارة الموستيرية التي عثر على بقاياها في الدردون (Dordogne) لولا احتواء هذه الأخيرة على أدوات مجهولة في شمال البحر الأبيض المتوسط.

وتتمثل أدوات العاترية في رؤوس ملساء مزودة بساق يسهل مسكها منه، وقد بقيت لمدة طويلة محل نقاش بين المختصين بغية إعطائها مصطلحا علميا واضحا يزيح عنها الغموض.

وقد بدأ جمعها من مواقع على سطح الأرض منذ سنة 1886 على أقل تقدير.

نظفت بقايا العاترية بعناية كبيرة وألحقت بصناعات الفؤوس المهذبة التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، ولكن اكتشاف بقايا وادي جبانة بالقرب من بئر العاتر جنوب تبسة أثبت عكس ذلك.

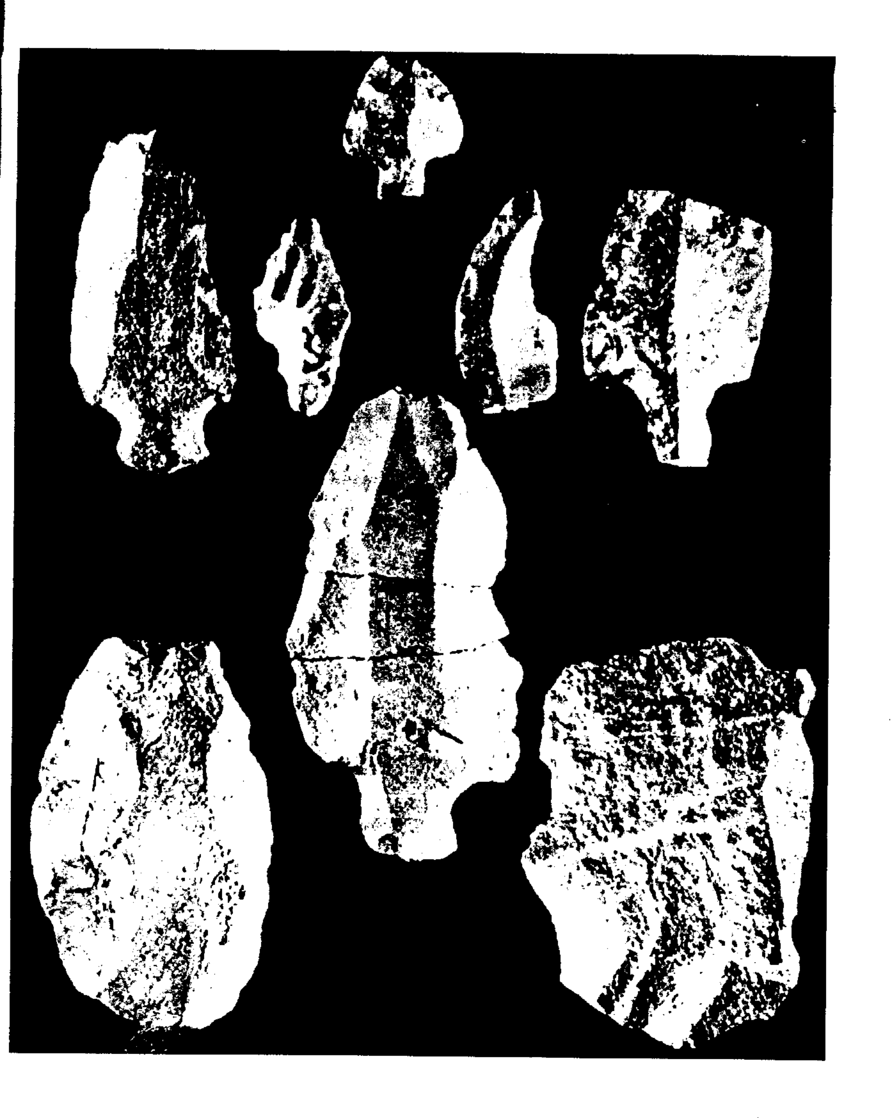




ويحتل موقع وادي جبانة الشهير مكانا رائعا، غير أن المختصين فيما قبل التاريخ لم يتمكنوا من زيارتـــه إلا القليل منهم، فهو عبارة عن منحدر كونه التآكل الغريني لإحدى تعرجات وادي جبانة، وتغطي الطبقة الأثرية التي يبلغ سمكها حوالي مساحة 30 متر تقريبا، وقد تهدم جزء منها بسبب الحفائر وفيضانات الوادي القوية إلى درجة أن حفظ بعض الأدوات الأثرية أوجب القيام بعمليات وقائية واسعة، وقد تم ذلك بالفعل ســنة 1953 بحيث امتدت من نقطة انجراف المياه قناة اصطناعية "لتجعل الماء يأخذ اتجاها معاكسا"، غير أن ذلك ســيجعل كل شيء يختفي في يوم ما.

وقد تم جمع وحفظ ملايين من الآلات الصوانية المهذبة والعظام الحيوانية وفضلات مطــابخ مــا قبــل التاريخ، إضافة إلى الفحم والقواقع، والملاحظ أن مجموع كل تلك الأشياء درس في مخابر متحــف بــاردو بالجزائر العاصمة.







إذا كانت مكتشفات الجنوب القسنطيني لا تثبت بأن الحضارة العاترية لم تشتمل على أي عنصر من عناصر عصر الحجري الأوسط، فإنها لا تسمح في نفس الوقت بترتيب هذه الصناعة وفق تسلسل تاريخي عام، لذلك كان من الواجب الرجوع إلى الأدوات المكتشفة على الشواطئ الصخرية والتي كانت موضع نقاش طويل.

إن افتقار مثل تلك المناطق إلى الصوان هو الذي دفع إنسان ما قبل التاريخ لاستعمال آلات صغيرة مصنوعة من الكوارتز مثلا ومن بعض الصخور البركانية الأخرى في حين وجدت الأشكال الأساسية التي اتبع في تهذيبها "الطريقة اللفلوازية" وهناك الشظايا التي انتزعت من كتلتها على شكل أسطواني وتم تهذيبها بسهولة عن طريق التنقيح للحصول على رؤوس مشابهة لرؤوس الحضارة الموستيرية أو على مكاشط وأدوات ذات المقابض أو رؤوس السهام والمناقش.

وتوجد هذه المجموعات الأخيرة بكثرة في الأراضي الحمراء على طول الساحل الجزائري حيث يغطي الطمي في غالب الأحيان الحصى والقواقع التي تعود إلى شواطئ البحر المتوسط القديمة التي كان مستوى المياه فيها أعلى مما هو عليه حاليا، لهذا فإن هذه الحقيقة الأثرية مرتبطة بظاهرة جيولوجية يمكن بواسطتها حصر التسلسل التاريخي العام لفترات الزمن الجيولوجي الرابع.

ومن بين الأصداف التي قذفتها المياه وأبعدتها عن مكانها الأصلي نشير إلى تلك القواقع التي تحمل رخويات منقرضة لا توجد إلا على شواطئ البحر المتوسط، وقد كانت تعيش حول الشواطئ القديمة، باستثناء أصداف الرخويات الكبيرة التي تعيش في المياه وتوجد بقاياها حاليا في السنغال، لذلك يستنتج بأن الإنسان العاتري كان قد سكن السواحل التي انحصرت عنها المياه التي يعتقد بأنها كانت أدفأ مما هي عليه الآن، ومن حسن الحظ أن ذلك قد وقع خلال انخفاض درجات الحرارة التي أدت إلى التجمد في الزمن الجيولوجي الأخير والتي وصلت آثارها إلى ما تحت خطوط العرض التي كان يعيش بها الإنسان العاتري، وفي هذه المرحلة المعقدة بتقلباتها الثانوية عاش الإنسان الموستيري في أوربا.





لقد اكتشفت المواقع العاترية الساحلية منذ القديم في كل من الخروبة قرب مستغانم وفي بـــرار بســـواحل الجزائر العاصمة، إلا أنها لا تمثل في الحقيقة سوى المناطق التي اكتشفت فيها أكبر مجموعة من الأدوات العاترية، حيث يمكن تتبعها تقريبا من مراكش حتى تونس بدون انقطاع.

وتعطي الشواطئ الصخرية الموجودة في برار منظر يوحي بالقدم. فهي عبارة عن رصيف صلصالي شكلته الأمواج وحته العواصف، وقد جمع سطحها ترتيبا غير متماسك لقواقع متحجرة وهلاميات على الخصوص إلى جانب الأنقاض الكثيرة التي تؤكد . . .





تراجع الشواطئ الصخرية، كما غطيت هذه الشواطئ بطبقة صلصالية رملية تآكلت بفعل الرياح، فتشكلت بذلك طبقة سميكة ذات اللون البني مائل إلى الحمرة القانية.

وتظهر الصناعة ذات المقابض داخل كتلتها وسط الصخور البركانية، وخاصة عند ملامسة الصلصال، وهي كثيرة وبدائية الصنع، غير أنها كانت في وضعية جيدة وأثبتت معاصرتها للحضارة العاترية في بيرار أكثر منه في لخروبة، حيث شملت جزء من المرحلة الأخيرة، على الأقل من الإنحصار البحري.



يبدو أن المناخ أكثر رطوبة في هذه الفترة "مما هو عليه حاليا"، يلمس ذلك من خلال احمرار الرمال المترسبة في الجزء الساحلي، ونفس الملاحظة نتجت عن تحليل فحم ورماد مستقرات ما قبل التاريخ المكتشفة في الداخل، حيث كان الإنسان العاتري يحرق عشب الدردار المشوك في موقع وادي جوف الجمل وسط منطقة النمامشة، في حين نجده حاليا قد لجأ إلى أعالي الجبال.

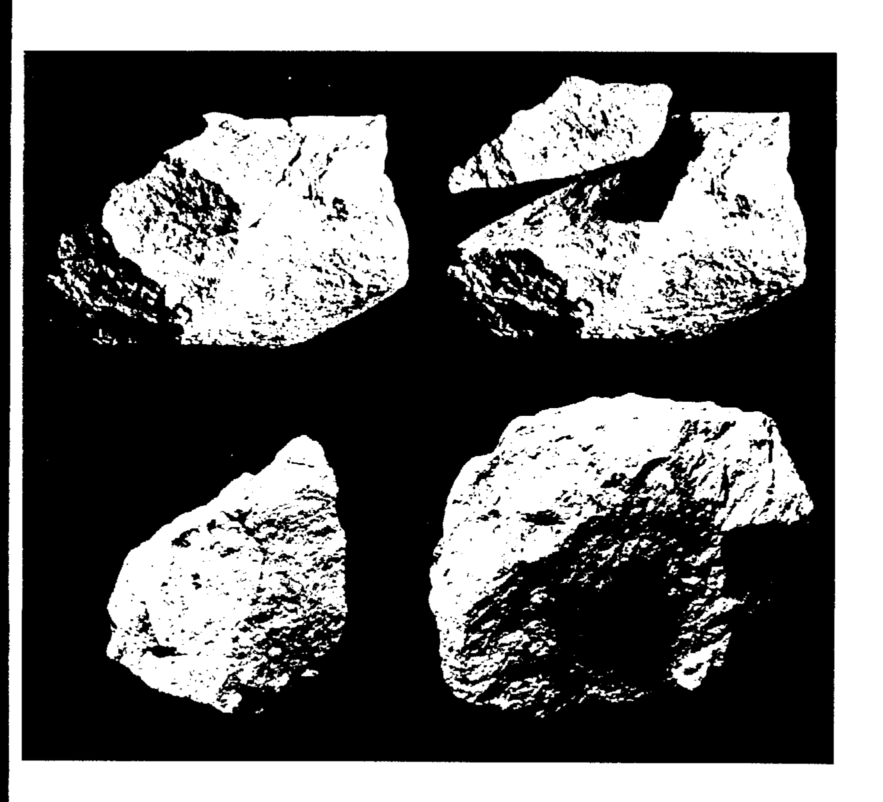
أما طبيعة وادي جوف الجمل خالية. فهي ضيعة حتوت على بعض الفستقيات المنتشرة في الوادي وحولها نباتات الحلفاء، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن مفاجأة علماء الآثار عندما يكشف في مثل هذا الإطار الجاف.



القاسي والعدواني في نفس الوقت الملايين من الآلات الصوانية التي هذبت من قبل الإنسان العاتري؟.

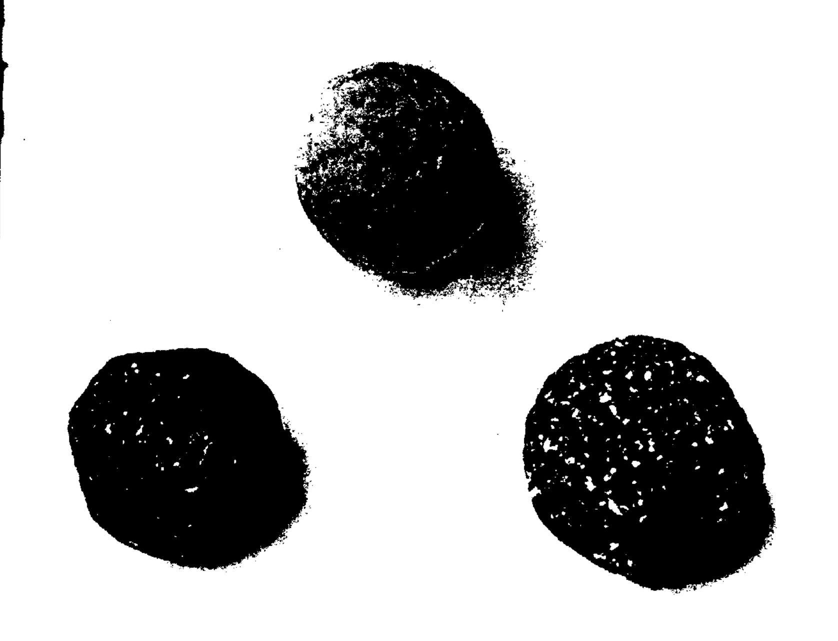
وتعتبر حجارة وادي جوف الجمل الصوانية من أروع ما اكتشف، والدليل على ذلك اللوحة المعتمدة في بداية هذا الفصل (ص 74).

ونادرا ما تكتشف في نفس المكان كتلة المادة الأولية والشظية التي فصلها الحرفي منها، وقد تم مثل هذا الإكتشاف في ضواحي الجزائر العاصمة، وهو ما يسهل تفهم طريقة التهذيب، وبالتالي يعطي أضواء على التطور الفكري (النفسي) لإنسان نياندرتال، ذلك أن الطرق الدائري للكتلة يتم وفق حركتين حكيمتين: أولهما بطرق الوجهين معا، وثانيهما بطرق الوجه العلوي فقط.



من الشظية المراد تشكيلها. وهما الحركتان الأكثر دقة اللتان تستعملان للحصول على شظايا طويلة ورقيقة بطريقة منظمة، وأغلب هذه الشظايا تكون مثلثة الشكل، غير أنه يمكن تهذيبها للحصول على رمح قصير. والجدير بالذكر أن تشذيب وتنقيح السن الموستيري تبدو ملامحه جميلة في حالة استخدام مادة جيدة، يظهر ذلك واضحا عندما تكبر (صورة السن) إلى ضعف حجمهما الطبيعي، وقد تنوعت آلات وأسلحة الإنسان العاتري بشكل كبير، كما جلبت تلك الكويرات الحجرية الأنظار بسرعة حيث كان مظهرها يشبه البرتقالة أو حبة اليوسفي، ومحيطها يكاد يكون كرويا بكامله. وقد اكتشف بعضها منفردا وبعضها الآخر ضمن مجموعات متقاربة.





استخرجت تلك الكويرات التي تظهرها الصورة أعلاه من موقع عاتري صحراوي غني ببقاياه كما صنعت إحداهما من حجارة الكوارتز والآخرتين من حجارة بركانية ويعتقد بأن داروين (Darwin) كان هو الآخر قد وجد حجارة مماثلة لحجارتنا هذه في أمريكا الجنوبية موضوعة في غلاف جلدي ملتفة حول نفسها وكأنها كويرات معدة كسلاح قذف للصيد، لذلك أعطيت كويراتنا هذه اسم إسباني بولاس (Bolas) ومن دون شك كانت قد استعملت لنفس الغرض.

كما وجدت حجارة أخرى بينت لنا خصائص سكان إفريقيا الجنوبية، سبق وأن عرفها إنسان ما قبل التاريخ.

وقد كان انتشار الحضارة العاترية ملحوظا حيث وصلت غربا حتى المحيط الأطلسي وشرقا حتى وادي النيل وجنوبا حتى حدود الصحراء الجنوبية، ويلاحظ أيضا بأن تقنيتها قد وصلت قمة تطورها في الجزائر والمغرب الأقصى حيث شملت في نفس الوقت بعض الأشكال النيوليتية التي تتمثل في التهذيب الوجهي للبيفاس، وتدل الحفر الجانبية بدورها على وجود مسات قفصية. هذا من جهة ومن جهة أخرى يظهر تأثير العاترية بوضوح في "تيوريرين" وسط عرق تيهودين في سفوح جبال تاسيلي "ناجر" في شكل مجموعات متراكمة، وهي إحدى ذخائر متحف باردو بالجزائر العاصمة.





وهكذا تطرح قضية علاقات العاترية ليس فقط بما سبقها، بل وبما لحقها أيضا فقد بينت بعض مواقع ما قبل التاريخ أن الإنسان استقر خلال قرون بالقرب من المنابع الضرورية لحياته، يشهد على ذلك مثلا موقع الأبـيرا (El-oubira) الواقعة على الحدود التونسية الجزائرية قرب تبسة، حيث تظهر الرمال التي تغطي الصناعة العاترية مختلطة بالرماد والكل يشبه هضبة اصطناعية تختلط فيها قواقع الحلزون بالحجارة المحترقة، وهي تمثل بحق سكنى الإنسان القفصي الذي يؤرخ له تقريبا بالألف السادسة قبل الميلاد.

لذا فإن الحضارة العاترية تكون قد ظهرت في المغرب الجزائري خلال العصر الجليدي الأخير من الزمن الجيولوجي الرابع واستغرقت مدة طويلة انتشرت خلالها انتشارا كبيرا في شمال إفريقيا حتى شملت فترة الإنسان العاقل الذي جاء ظهوره متأخرا في المناطق الأخرى أكثر منه في أوربا، حيث يبدو أنه ظهر في الشرق الجزائري في حوالي الألف التاسعة ق.م، وفي الصحراء تعود بدايته إلى الألف الرابعة ق.م وهو الذي حدد انتشار ذلك النوع القديم من البشر ونعني بهم أناس نياندرتال ويعود إليه الفضل في تكوين الهوية الثقافية التي تركتها مجموعاته في المواقع التي عاشت بها. ثم صنعت أدواته.

في السهول العليا القسنطينية

"عاش الإنسان القفصي آكل الحلزون"

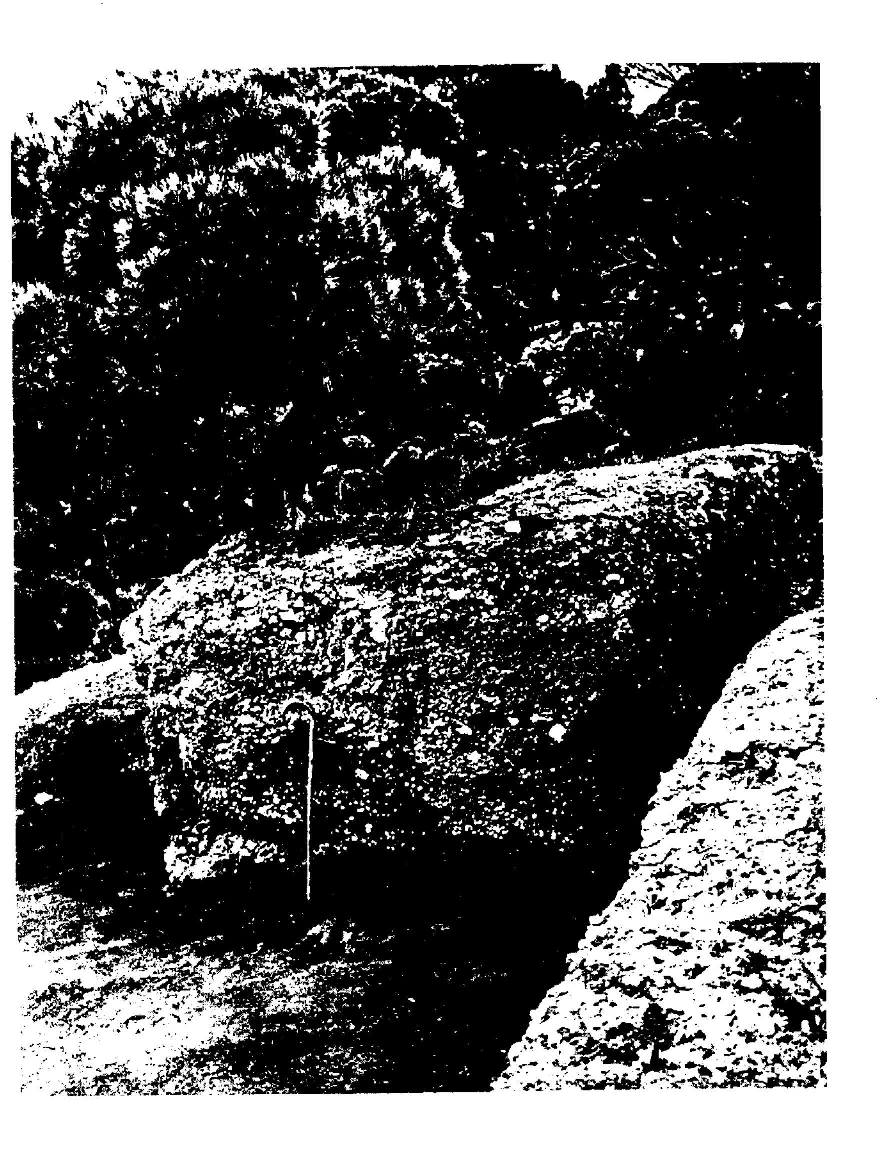


"إن أول بصمات ظهرت للإنسان في منطقة تبسة تمثلت في حجارة الصوان المهذبة وكذا بقايا تلال الحلزونيات البحرية المتحجرة التي جلبتها البراكين إلى سطح الأرض".

ف.كامبون (CAMBON)، 1905.

كثيرة هي أسماء المناطق والمنابع التي أخذت اسم الحلزونيات أي "اللبوش" أو الرماديات. وتمتد من جنوب منطقة القبائل إلى النمامشة ثم تجتاز بعد ذلك تونس وبدون شك يجد الدارس هناك سكنى ما قبل التاريخ أو الرمادية القفصية، كما اكتشفت المئات بل الآلاف من الحلزونيات حول سطيف وعين البيضاء وتبسة وقفصة بتونس. وهذه الأخيرة هي التي منح اسمها إلى إحدى حضارات ما قبل التاريخ، (الحضارة القفصية) والملاحظ أن العنصر السائد بكثافة وكثرة في الرماديات هو الحجارة ذلك أن الرماديات هي عبارة عن تراكم حجري، متلأت فراغاته بغطاء ترابي أو برمال فحمية. ويمكننا الكشف عن صناعة معاصرة لتلك الفترة من خلال غربلة بقاياها وإيجاد الغذاء الذي عاش عليه أناس تلك الحقبة والذي غالبا ما يتمثل في عظام الحيوانات والقواقع الحلزونية، وقد ساعد شق الطريق الذي قسم رمادية سيدي محمد الشريف بتبسة على معرفة تكويناقا، حيث كانت تقوم على منحدر كلسي لوادي منخفض صغير وبدت في وسط المنحدر كومة الرماد السوداء تتخللها نقاط بيضاء سميكة متراصة وصلبة بالإضافة إلى هياكل عظمية متعدنة.

وقد تكلست الحجارة التي جلبها الإنسان لكثرة ما اشتغلت فوقها مواقد الحطب حتى أصبح المكان نفسه دافئا تشع حرارته لدرجة أنها تلطف برودة الليل. وقد تستعمل أيضا لطهي الطعام.



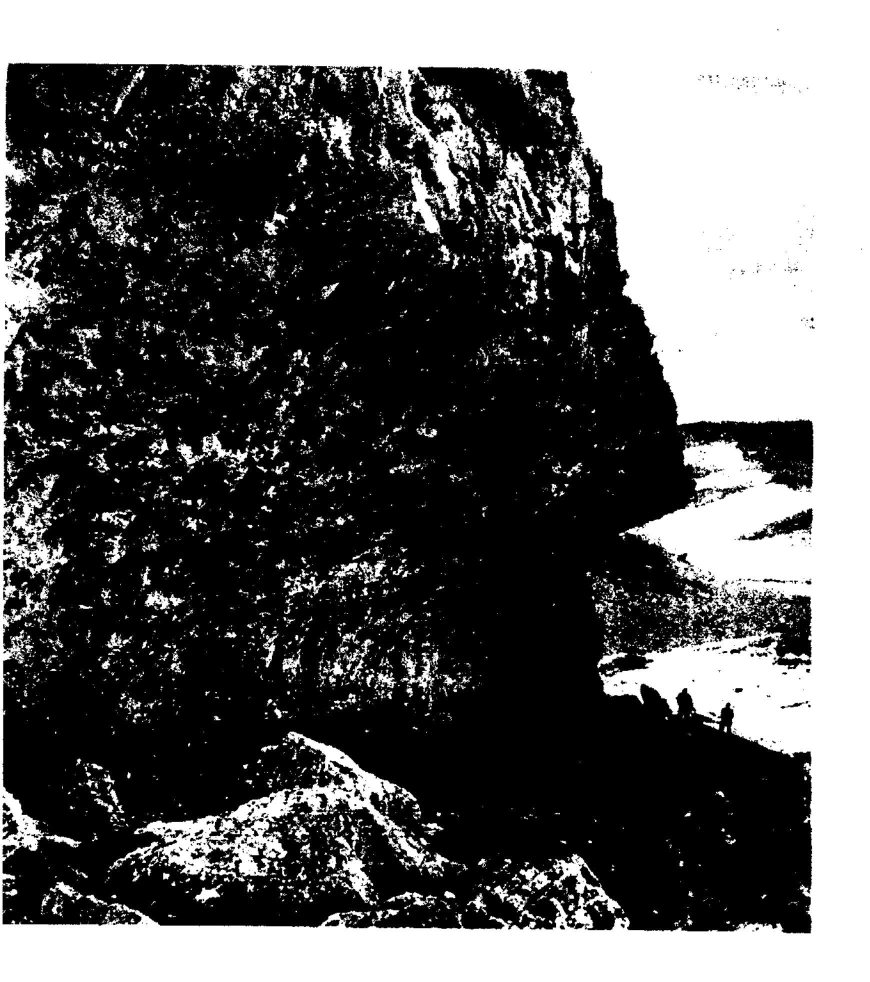






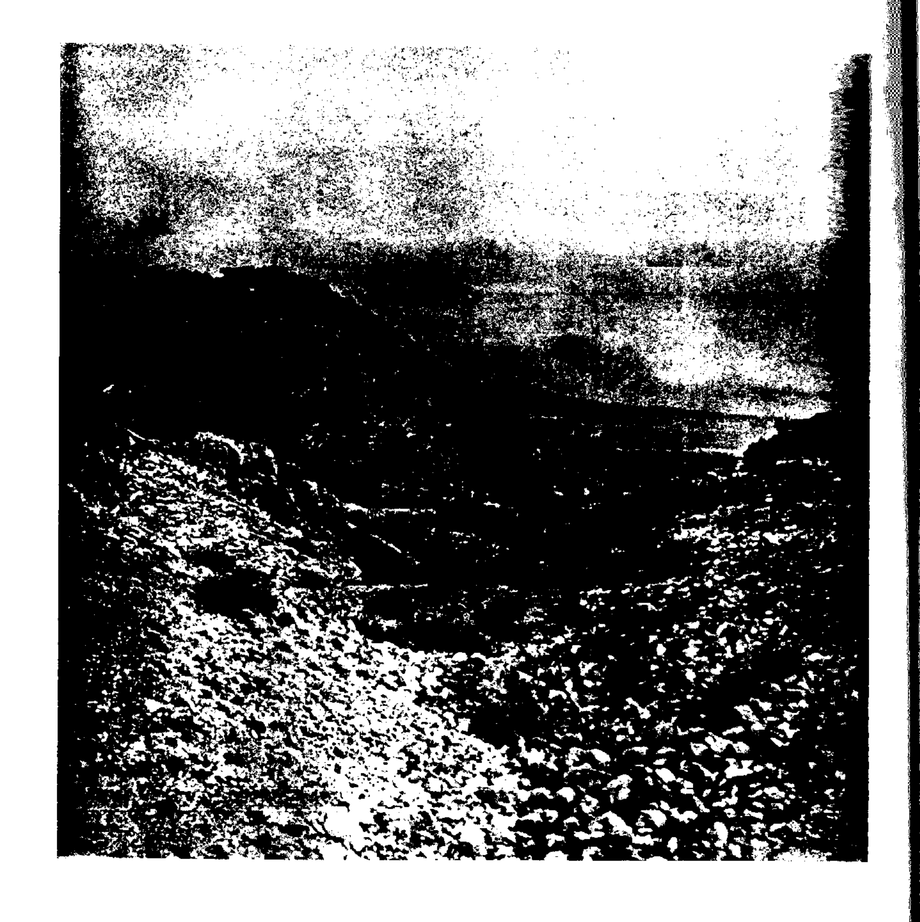
وليس هناك ما يؤكد بأن الحجارة المشار إليها كانت قد استخدمت كلوحات لإعداد الحلزون، غير أن هذا الأخيرقد شكل عنصرا أساسيا في غذاء الإنسان الذي كان على ما يبدو يفتقر للحوم حينذاك.

وفي غالب الأحيان يحتوي رماد الحلزونية ذو اللون الباهت أو الأسود - الذي يحول باحث ما قبل التاريخ (في المنطقة الأثرية) إلى فحام عند هبوب الرياح - على جمرات منطفئة وأجزاء دقيقة من الفحم الخشبي الذي يعطينا بدوره بعد "التحليل" نوعية النباتات التي كانت توجد في المنطقة، وكان الإنسان القفصي يعمد إلى حرقها.



يوجد تحت التجويف الصخري الكبير موقع رنيلاي (RELILAI) حــوالي 5000 م^3. مــن الرمــاد تمثــل حوالي 500.000 م^3 من الخشب الذي آل إلى فحم بطول الزمن.

أما حوض ثليجان (Tlidjène) الواقع جنوب غربي تبسة فهو غني بمواقع مماثلة سواء كانت تحت الملاجئ أو في المغارات.



تغطي رماديات خنقة المهاد التي فتحتها الحفريات حوالي 3.300 م^3، وقد قدر سمكها في وسط الموقع بحوالي 5 أمتار ...





وتقع المراكز المميزة للإنسان القفصي بالقرب من مورد الماء أو في الأماكن المحصنة أو على جوانب الطرق داخل الجبال.

وتظهر الرمادية (الصورة أعلاه) على ضفة الشعب حيث كانت تكثر أشجار الصنوبر الألبية ونباتات العرعار، وهذه الأشجار المشار إليها هي التي شكلت كمية الأخشاب التي حرقها الإنسان القفصي في الألف السادسة ق.م.



يوجد في هذا النتوء الصخري (الصورة أعلاه) واديان صغيران أدى وجودهما إلى تحصين الموقع الأثري، وإلى جانبه كانت توجد مستنقعات ومنبع ماء يكفي ضرورة المعيشة في المكان.

مما جعل الباحثين يرجحون بأن طبيعة المنطقة القفصية كانت تختلف إلى حد ما عما هي عليه الآن. حيث كانت في رأيهم أكثر جفافا وممتلئة بحجارة خصبة في الحمامة وتونس.

وقد اتصفت سهول الوسط القسنطيني بأنها أكثر فقرا. ولذلك كانت الحياة فيها تتسم بالصعوبة.



والجدير بالذكر أنه اكتشفت في رمادية مشتى العربي الكبيرة الواقعة (بالقرب من الطريق الرابط بين سطيف وقسنطينة) بقايا بشرية على غاية كبيرة من الأهمية. وقد نسبت كلها إلى الإنسان القفصي، وبينت الحفريات متتالية في نفس الموقع (الخندق الذي يظهر في الصورة يعود شقه إلى سنة 1952) وجود بقايا نوعين من لإنسان القفصي: الأول هو ما يسمى "بإنسان مشتى العربي" . . .



... وله مميزات بدائية تربطه بإنسان كرومنيون. وتدل بقاياه على ضعف ذوقه ومواهبه.

أما الإنسان الثاني فهو القفصي نفسه الذي يرتبط بمجموعة البحر المتوسط الكبيرة ويمثل بدون شك الأصل الأول للسكان "الأمازيغ" الحاليين.



وفي سنة 1949 اكتشف الباحثون الأثريون هيكلا عظميا كاملا تحت رمادية تعود للإنسان القفصي، كذلك عثر على هيكل عظمي ثاني مماثل للأول في تونس، وبذلك أدت مراجعة الوثائق الأثرية التي سبقت معرفتها إلى توسيع القائمة (من حيث الهياكل البشرية)، واتضح للباحثين بأن بقايا الإنسان القفصي لا تختلف كثيرا عن هياكل الطوارق الحاليين.

أما عظام الإنسان القفصي الموجودة حاليا في إحدى واجهات متحف باردو ....



... فيبدو أنه دفن في وضعية منكمشة (تشبه الجنين)، ووضع فوق هيكله رماد المواقد وهو لا يزال مشتعلا مما جعل بعض علامات الإحتراق لا زالت تظهر على هيكله العظمي. (وقد تبين من التحليلات المخبرية)، بأن الهيكل المشار إليه آنفا لإنسان لا يزال شاب. وجهه مستطيل وفكه سميك وأسنانه كاملة وحوضه ضيق وأطرافه الأمامية قوية.

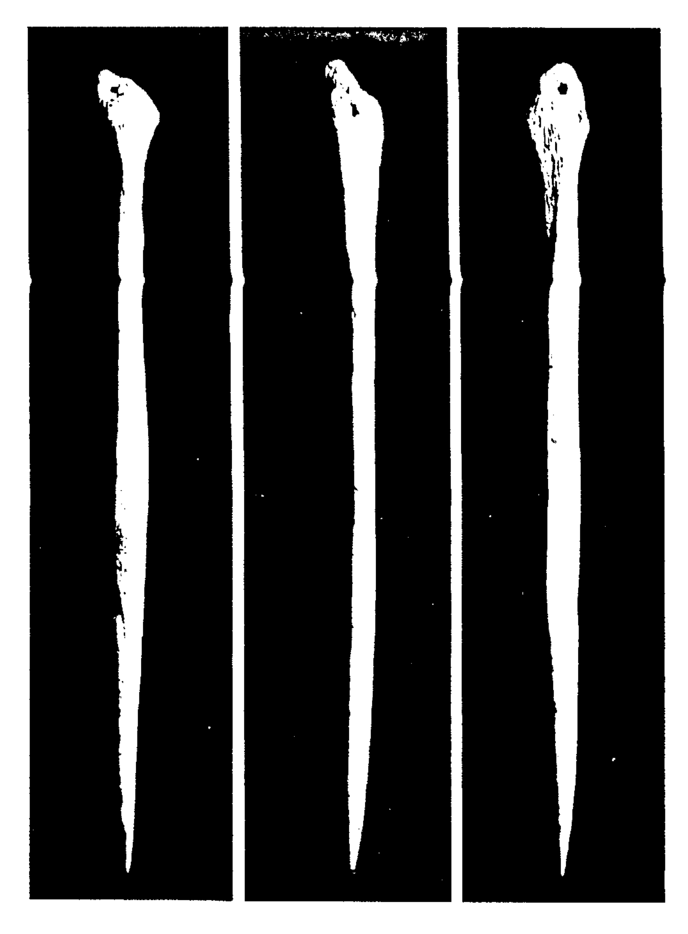
تلك هي الأوصاف الكاملة للإنسان المجهول الذي ظهر هيكله العظمي للأثريين في إحدى أيام أكتوبر سنة 1949. وذلك تحت رمادية عين الذكارة، ويبين موضع العصا الذي يظهر في إحدى صورنا الموقع المحدد الذي احتله الهيكل، وبالقرب منه توجد عقرب كبيرة سوداء.



إلى جانب ذلك وجدت الكثير من الطقوس الخاصة بالخصوبة تمثلت في نزع وتشويه الأسنان لا سيما لدى النساء، إلى جانب استعمال عظام بشرية مجردة من اللحم، وقد أحاط الإنسان القفصي نفسه بجو سحري بدائي وهمجي في نفس الوقت، وتبين بقايا هياكل خنقة المهاد بأن المرأة القفصية هي الأخرى عرفت ممارسة نزع الأسنان قبل سن البلوغ وعلى الخصوص القواطع والنابين السفليين. في حين لم يحمل الرجل أثر مثل هذا التشويه الذي لا زالت بقاياه في عصرنا الحالي تمارس عند السود ابتداء من غينيا وحتى بحر الغزال.



أما عادة إستعمال عظام الإنسان، في الحاجيات اليومية وتهذيبها فهي بالنسبة إلينا موضوع دهشة وسخط، خاصة عظام الجمجمة التي تثقب لتعليقها ...



... وعظم ساق (شظيت) وحولت إلى خنجر، وأستعملت عظام أخرى إنسانية على شكل منقار لتنقيح الصوان، وأخيرا اكتشفت بقايا عظام بالية قرب "كانروبيرت" « Canrobert »، وهي عبارة عن جمجمة حززت بواسطة منشار من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى وطليت حوافها بطلاء أحمر، ثم وضعت بها ثقوب بقصد التعليق، وقد ضمت أسنان فكها السفلي إلى عظام الفك العلوي، الشيئ الذي جعل المختصين يعتقدون بأنه أثناء عملية الضم المشار إليه كانت عضلات الفك تقوم بدورها الطبيعي كما يجب، كذلك وجدت إلى جانب الجمجمة المشار إليها سن إصطناعية صنعت من جزء من سلامية بشرية.

ربما استعملت كل الأشياء المشار إليها وفقا لطقوس جنائزية لا زلنا نجهل مدلولاتها حتى يومنا هذا.

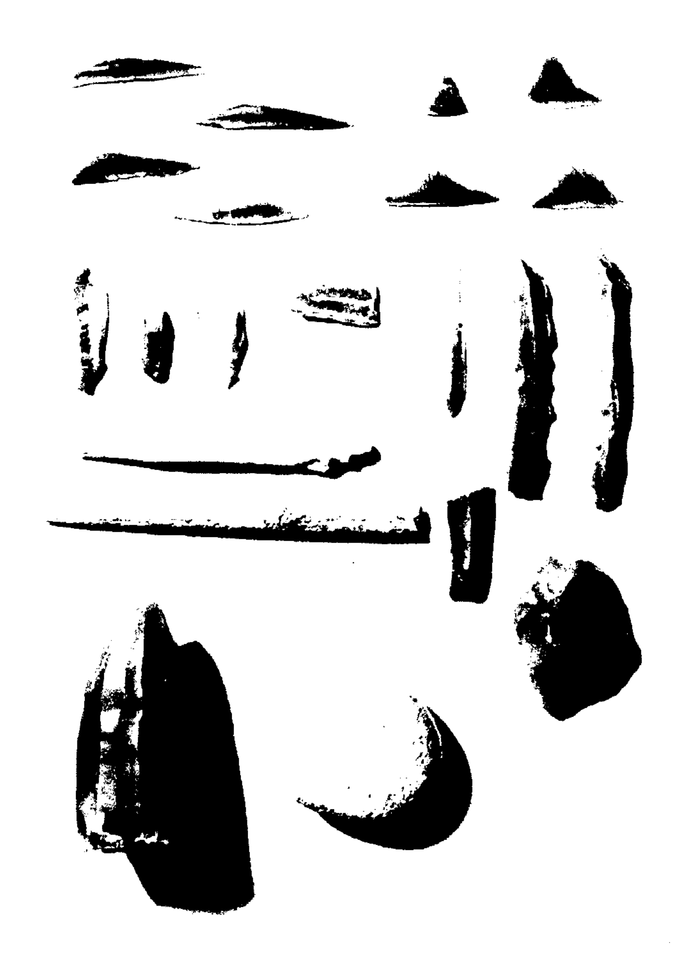
تتشكل الصناعة القفصية من مجموعة كبيرة وواسعة من الأدوات والأسلحة المصنوعة من الشظايا الصوانية لا سيما الشفرات التي وزعها الإنسان العاقل (HOMO SAPIENS) في جزء كبير من القارة القديمة.

ويلاحظ بأنه إذا أمعن النظر في كل أداة على حدة، فإن الكثير منها له ما يشابهه خارج بلاد المغرب القديم.

ومن جهة أخرى تفوقت الحضارة القفصية بميزة خاصة أخذت من تواجدها في كثير من المناطق المغربية وكذا الدور الذي كانت تقوم به كل أداة من أدواتها.

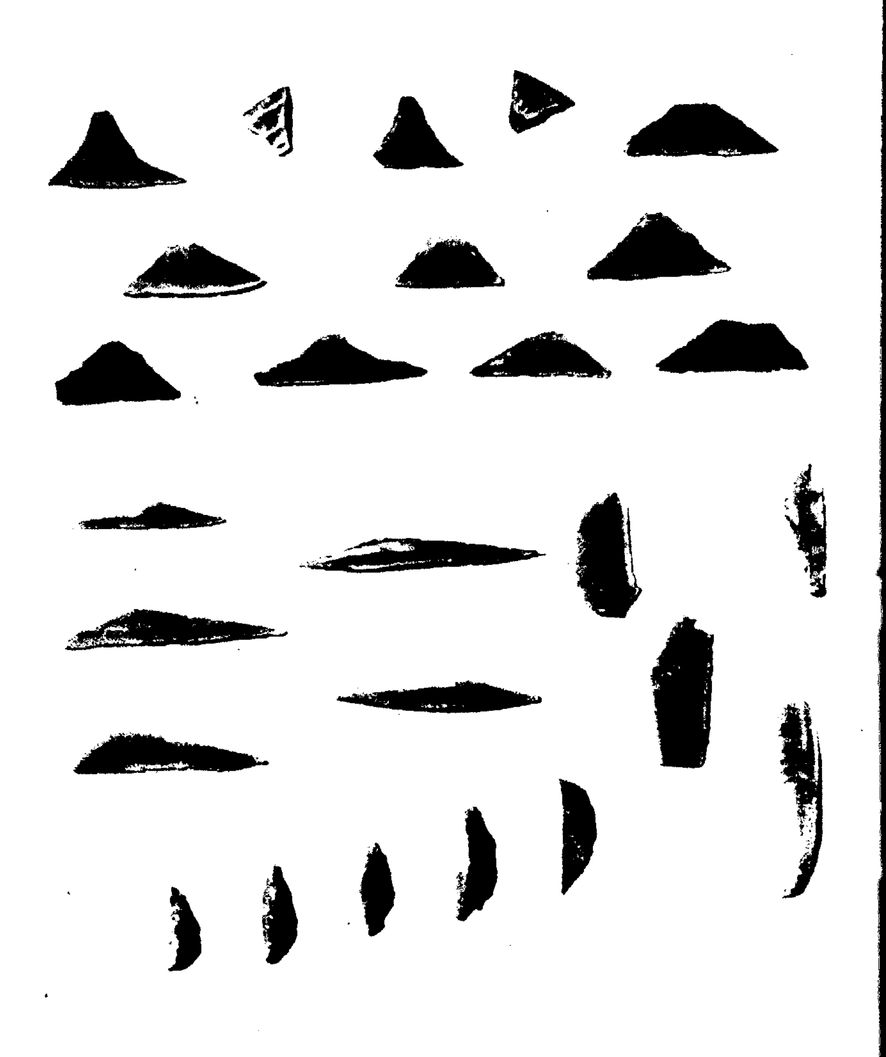
وتتمثل أقدم طبقة من الحضارة القفصية فيما يعرف بإسم القفصية النمودجية التي وجدت بقاياها في الجنوب القسنطيني والصحراء التي إستمر إستعمالها فيها مدة أطول، ولم تتطور كثيرا إلا في تونس. والقاسم المشترك بين الحضارة الأوريناسية والقفصية النموذجية يتمثل في الأزاميل الحادة والشفرات المهذبة الحافة والمكاشط ذات الأطراف البارزة في غالبيتها، غير أن ذلك لا يجعلنا نهمل وجود الأدوات الحجرية الدقيقة مثل الشفرات الصغيرة ذات الحواف المهذبة التي يحاكي بعضها الأشكال الهندسية لشبه المنحرف وهي تمثل تطورا كبيرا. وإذا سلمنا بنتائج الكاربون رقم 14، فإنه يؤرخ للطبقة القفصية النمودجية بالألف السابعة قبل الميلاد وربما قبلها بقليل، لذلك نجد أنفسنا بعيدين عن 15000 سنة التي منحت لرسوم جدران كهدف لاسكو (LASCAUX).





يعود تصغير الآلة الحجرية الكبيرة وصناعة الأشكال الأخرى سواء الهندسية منها أو غير الهندسية إلى مرحلة تطورت فيها الحضارة القفصية النموذجية ولذلك أطلق على هذه المرحلة بـ"القفصية العلوية". كان انتشارها أوسع من الأولى (القفصية النموذجية)، لذلك وجدت بقاياها منتشرة عبر الصحراء حتى وادي سوف، ويبدو أن تأثيرها وصل إلى توات (رقان).

أما في الشمال الغربي فقد وصل تأثير الحضارة القفصية العلوية إلى منطقة القبائل، ولم يتم الإنتشار المشار إليه دون أن يتبعه تنوع في الأدوات، وفي هذه المرحلة ظهرت سمات بارزة لحياة الإنسان تتمثل في احتمال بداية جمع الثمار البرية التي تعتبر مقدمة للزراعة (في بلاد المغرب القديم).



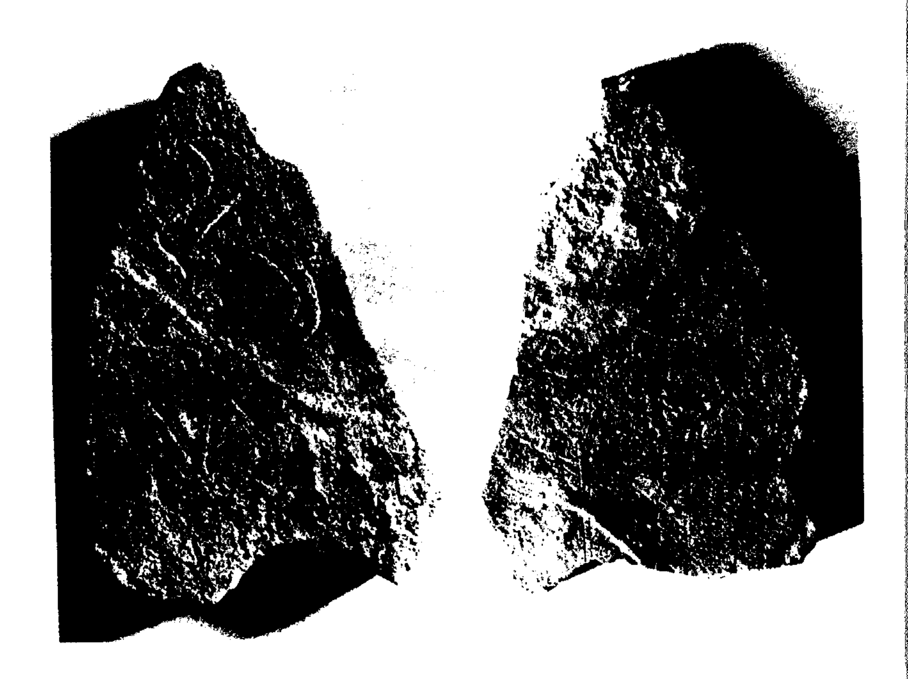
وما يدعو للدهشة أكثر، هو وجود الآلات الحجرية ذات الأشكال الهندسية الدقيقة، مثل أشباه المنحـــرف، وذات الحواف المجوفة نوعا ما التي تعطي أشكالا غريبة أو مثلثات دقيقة وهلاليات صغيرة، وقد تركت التقنية التي تسهل عملية الحصول على هذا الصوان الصغيرة، بقايا ذات أحجام دقيقة مزودة بحـــزوز وســـن حـــادة وانكسار مائل، ومن دون شك أطلق عليها خطأ اسم المناقش الدقيقة.



وإذا كانت الصناعة العظيمة القفصية تتصف بالرتابة والفقر في بعض الأحيان، فإن صقل الحجارة المثقوبة (سيما القضبان المستعملة للثقب) الذي سيظهر عن قريب سوف يعطيها إمكانيات غنية. إضافة إلى الرسم على بيض النعام المستخدم كأواني لحمل السوائل. فعلى هذا الأخير بدأت اللمسات الأولى لفن الرسم العائد إلى فترة ما قبل التاريخ ببلاد المغرب القديم، ولو أنها سارت في بداية الأمر ببطء تام وبدائية كبيرة عكس ما كان عليه الأمر في فرنسا حيث لم تزين صخوره بالرسوم والنقوش إلا في العصر الحجري الحديث ونهاية ما قبل التاريخ. ويمكننا هنا أن نقارن بين رسوم (بلاد المغرب) وبين تلك التي زينت جدران مغارات (فرانكو كانتابريك) مثل التاميرا ولاسكو.

أما في الفترة السابقة للعصر الحجري الحديث فليس لدينا سوى بدايات بسيطة تتمثل في حزوز بدائية للنحت على الأثاث ونقوش على جدران الكهوف، ويرجع تاريخ هذه المحاولات إلى فترة الحضارة القفصية النموذجية التي يعتبرها بعض المؤرخين المنطلق الأول لأصول الفن في شمال إفريقيا.

أما مرحلة الحضارة القفصية العلوية فإن لوحاتها كانت غامضة بحيث لا يمكن تفسيرها على العموم ويحتوي متحف باردو على لوحات جلبت من موقع عين الذكارة ...



... ورمادية خنقة المهاد، بالإضافة إلى أجزاء كثيرة من بيض النعام محززة ولا يستبعد أن تكون الأشـــكال الرباعية وسلاليم الخطوط الغائرة والمثلثات الممددة والأشكال القمعية التي نقشت فوق جدران الكهوف سابقة للعصر الحجري الحديث، وفي نفس الوقت فإنه توجد في المنطقة الواقعة جنوب تبسة نقوش كـــثيرة ورســـوم صخرية تظهر لنا صور بقر الوحش ...

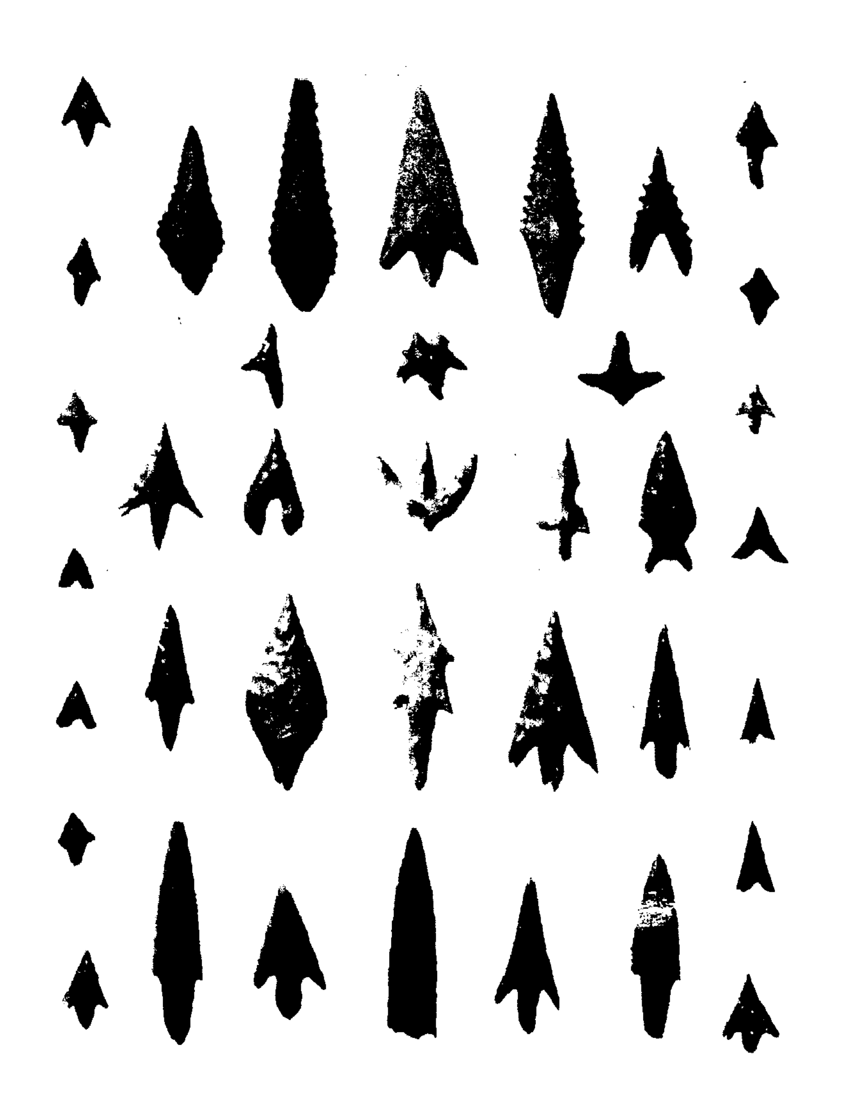


... وقد زينت صورها الرائعة الجمال سلسلة جبال الأطلس الجنوبية ووجد البعض منها في كل من جبال النمامشة والأوراس وجبال عمور وامتدت شمالا حتى منطقة تيارت*.

* اتضح للباحثين المختصين في السنوات الأخيرة بأن منطقة جبل أولاد نايل والجلفة هي الأخرى غنية بالرسوم الصخرية، وحول هذا الموضوع انظر.
H.Lhote ,les Gravures Rupestres de l'Atlas Saharien. Alger 1984.

وقد وجدت ثلاثة أنواع من البحيرات المالحة موزعة على كامل خريطة بلاد المغرب الشرقية وهي الـتي أعطت للمنطقة ميزة خاصة بها، واحتل معظمها سهول القطاع القسنطيني المنخفضة وجنوب تونس، تغلغلت بعد ذلك وسط الصحراء، ويبدو أن هذه الظواهر الجغرافية هي التي ساعدت توسع الحضارة الفينيقية حـتى شملت كامل شواطئ بلاد الأمازيغ(*)، فيما عد الصحراء التي تقل وتتناثر فيها الآثار القفصية، ومن المحتمل أن يكون الإنسان القفصي قد سكن الأكواخ المغطاة بالأغصان، وتمثل أماكنها فضلاته التي بقيـت بدائيـة لا تختلف كثيرا عن تلك السابقة الذكر، مما يدعم فكرة كون إنسان قفصة يمثل أول ظهور لما نسـميه حاليـا بالأمازيغ، إلا أن هناك كثير من المؤثرات الخارجية التي تميز الإنسان القفصي عن الأمازيغي انطلاقا من أنواع المعيشة النيوليتية.

(*) استعملت مصطلح أمازيغ للدلالة على كلمة البربر التي استعملها المؤلف وذلك لتداول استعمال المصطلح المشار إليه في كتاباتنا الحالية.



رؤوس سهام وصنانير حجرية تعود إلى النيوليتي الصحراوي.
مجموعة الكولونيل ثيري مقياس حوالي G.N 4/5.

على السواحل وفي الجبال الغابية التلية

وجدته بقايا الإيبيرومغاربة الذين ينتمي إليهم إنسان مشتى العربي

"تتميز الصناعة الإيبيرومغربية بصغر حجم أدواتها، خاصة الشفرات الهلالية ذات الظهر المنقح التي توجد منه المئات من الأمثلة.

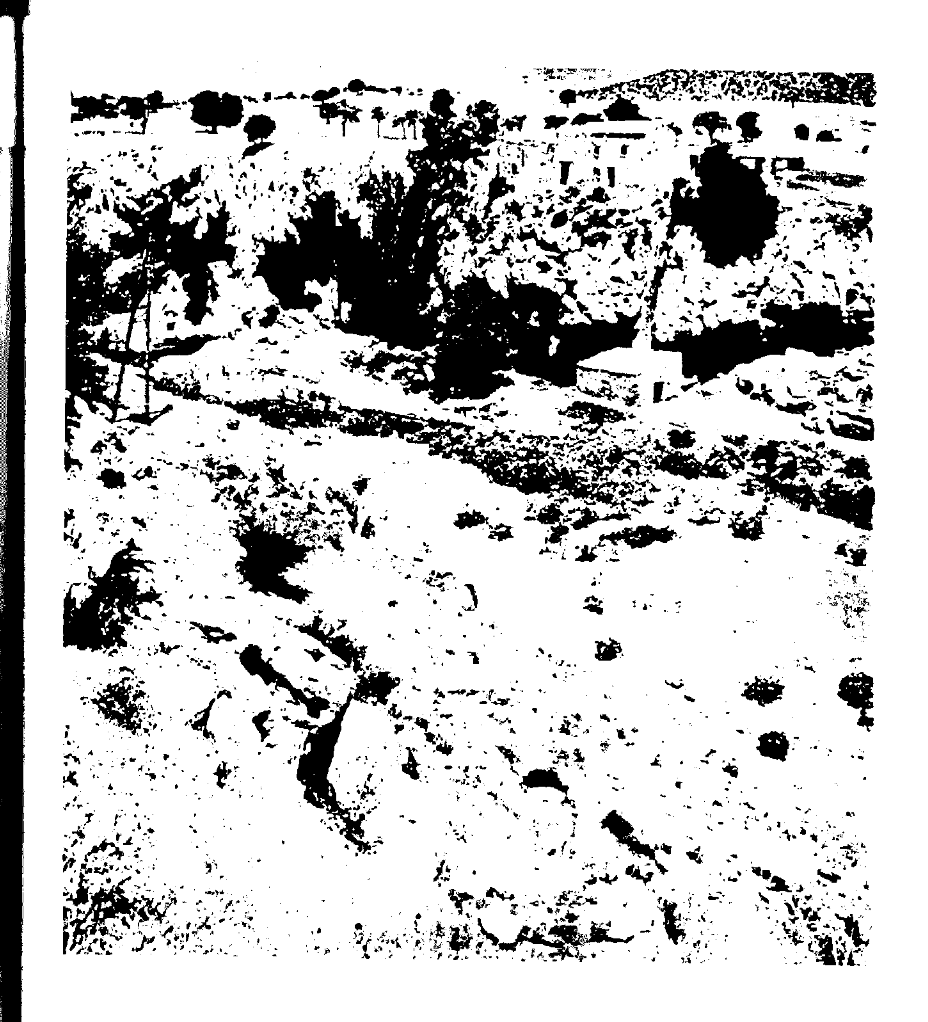
أما الصوان الحقيقي الذي يتخذ أشكالا هندسية، فهو مفقود".

ب.بالاري **P.Pallary 1909**.

عندما كان القفصيون يحتلون السهول العليا بالشرق الجزائري دون اجتياز للأطلس التلي والوصول إلى البحر جاءت جماعة بشرية أخرى حاملة معها حضارة حديثة حاولت نشرها على سواحل البحر المتوسط والسهول القريبة منه ثم تقدمت بعد ذلك إلى المناطق الجبلية المكسوة بالغابات حيث تكثر الحيوانات التي وفرت لهم اللحوم، وينتسب هؤلاء القادمون الجدد إلى الإنسان الذي عرف فيما بعد، بإنسان مشتى العربي الذي حملت ثقافته عن خطأ اسم "الإيبيروموريزية" (Ibéromarusienne) حيث اعتقد في بداية الأمر أنها اجتازت شمال مضيق جبل طارق ووصلت من إسبانيا الأندلسية.

وقد أهملت حاليا هذه النظرية، و لم يعد يعتقد أيضا أن الإنسان الإيبيرومغربيه مميزات عرقية تربطه بإنسان كرومانيون الذي سكن قبل آلاف السنين جزء من أوروبا الغربية في عصر الرنة والمغارات المزخرفة، على اعتبار أنه لم تكن هناك دوافع تشجعه على الدخول إلى شمال إفريقيا.

ويمكن القول أن صناعة الإنسان الإيبيرومغربي هي أفقر صناعة عرفت فيما قبل التاريخ على الإطلاق.



ينساب وادي المويلح على بعد بضع كيلومترات شمال مدينة مغنية الصغيرة الوهرانية الواقعة على الحــدود الجزائرية المغربية، ويسقط في شكل شلال وسط واد ضيق تموج ضفته الشرقية مشكلة منظرا بديعا.

وبالقرب من المياه الدافئة، حفرت ملاجئ تحت الصخور لا يزال الناس يترددون عليها.

وقد اكتشفت في سنة 1899 مجموعة ملاجئ قريبة من الطريق الرابطة بين مغنية ونمور وذلك من قبل الفرنسي بول بالاري (الذي كان يعيش في وهران حينذاك) وهو عالم ما قبل التاريخ والبيئة في نفس الوقت. وفيما بين سنوات 1907 - 1910 أجرى المدرس أوغيست باربان (Auguste Barbin) عدة تقنيات احتوت نتائجها على صناعة وافرة، حفظت حوالي أكثر من 3000 أداة منها في متحف باردو. (بالجزائر العاصمة) وبناءا على دراسة الآلات المشار إليها أمكن إعطاء تعريف دقيق "لحضارة المويلح" التي اتفق على تسميتها سنة ١٩٠٩ بالإيبرومغربية.



وما يدعو للدهشة في الصناعة الحجرية الإيبيرومغربية هي كثرة الشفرات الصغيرة المهذبة الحافة بواسطة التنقيحات القوية، وبدون شك فهي عبارة عن تقنية عامة طبقت في الأدوات ذات الإستعمالات المختلفة.

وعند إمعان النظر في شكل هذه الأدوات نجدها متنوعة، إذ كان بعضها حادا والبعض الآخر لم يزود بسن بحيث كان التنقيح بسيطا في بعض الأحيان وقويا في البعض الآخر. ويلاحظ أن أكثر من ثلثي الأدوات لم يحتو سوى على قطع دائرية، وبعض المكاشط الصغيرة والمناقش النادرة والنواة الصغيرة المصنوعة من الصوان الرديء عموما، بسبب فقر المناطق الساحلية.

هذه بالإضافة إلى الإبر العظمية البسيطة وأدوات عديدة استعملت للزينة. تمثلت في القواقع التي تصحبها في الغالب مواد معدنية ملونة.





وقد كانت الشفرة الإبيرومغربية غالبا ما تنتهي بتهذيب هامشي حتى أنها تبدو تشبه السن أو تحتوي في بعض الأحيان على مثقب شكل بواسطة فصل منظم لشظاياه الصغيرة التي تصبح تشبه الأزاميل الدقيقة التي تستعمل في صناعة الأدوات الحجرية الدقيقة ذات الشكل الهندسي. وهنا تلتقي الصناعة الإبيرومغربية مع صناعات أخرى مثل صناعة الحضارة القفصية.

والجدير بالذكر أنه يبدو بأن الدور الذي كانت تؤديه الشفرة الإبيرومغربية يتمثل في مهمة سن الحربة. وقد عثر على عظم صدغي لطفل استخرج من أحد مغارات وهران وسط الأدوات الإبيرومغربية. وكان هو الآخر مثقوبا بواسطة تلك الآلات السابقة الذكر، فقد نفذت من العظم بعد أن انكسرت في القشرة الداخلية. وتقدمت بعد ذلك إلى المخ حتى تجاوزت المنطقة الداخلية للصدغ بـ ½ سنتيم. إلا أنه يبدو بأن الضحية لم تقتل على الفور لأن "المختصين" لاحظوا إعادة تشكيل خفيف للعظم حول الكسر الذي أصابه.

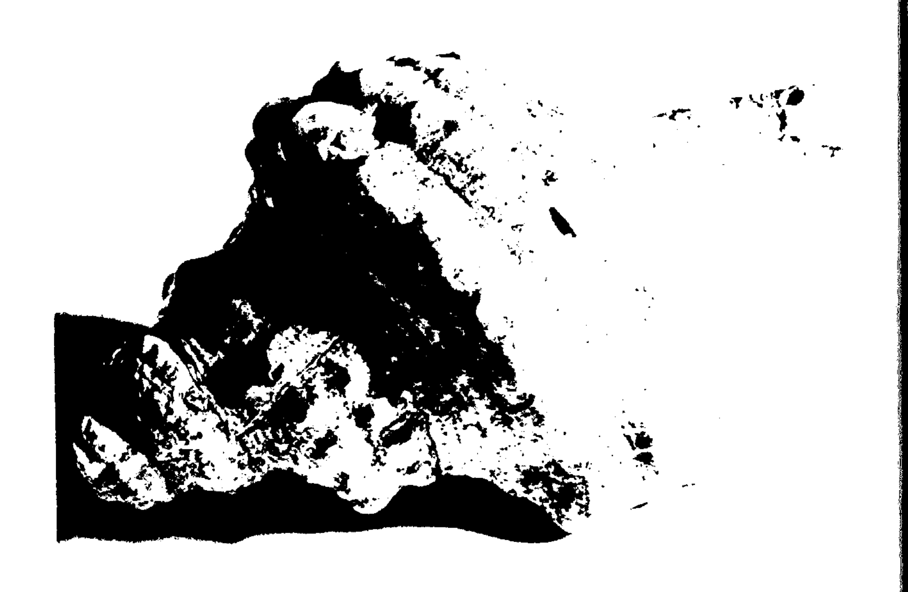






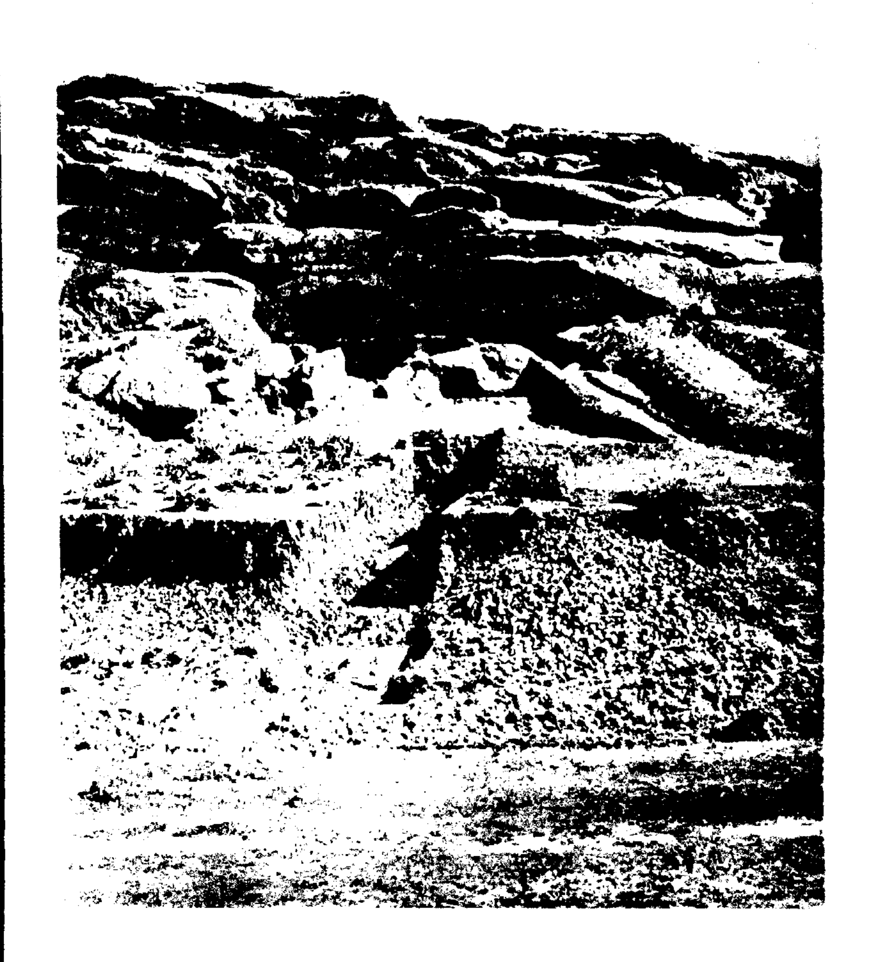
تمتد سكنى الإبيرومغربي على طول الساحل ابتداء من تونس إلى المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي، وتكثر مواقعها الأثرية في ضواحي كل من عنابة وبجاية والجزائر العاصمة ووهران، وهي في الغالب محطات قيمت في الهواء الطلق، لا تحت الملاجئ الصخرية.

كما أنها تتركز بالقرب من الشواطئ أو في منطقة الكثبان الساحلية مثل محطة "شجر الكرمة"، ويلاحظ في يمين الصورة أعلاه عملية حث الرياح والأمطار المستمرة وحمل الأدوات الصوانية.



يظهر في الصورة أعلاه على اليسار نتوء صخري يتربع رأس تنس يغطي المغارة الأبيرمغربية وهو شبيه بما عثر عليه بالقرب من وهران وشرقي بجاية حيث توجد مغارة الرمل "أفالوبورمال" التي احتوت على عظام بشرية. ونفس الشيء في تافورالت "شرقي المغرب الأقصى".

ويلاحظ بأن الحضارة الإبيرومغربية الساحلية والتلية قد تغلغلت إلى أعماق الأطلس في الجزائر الوسطى والغربية، وقد ظهرت لها مواقع فيما وراء سلسلة جبال البليدة شامبلان بالمدية حيث لم يقطع الإنسان صلته بالبحر، ذلك أنه استعمل في نفس الموقع القواقع الكبيرة لنفس الغرض. وقد اجتازت الحضارة الأبيرمغربية السهول العليا ووصلت إلى الأطلس الصحراوي.



ومن جهة أخرى احتوى الملجأ – الواقع تحت صخرة كولومناته (تيارت) الواقعة في جنـــوب الونشـــريس والمحاذية في نفس الوقت لحافة الشطوط الوهرانية الكبرى، على نوعين من الصناعة الأبيرمغربية، انفرد أحدهما بوجود عظام مهذبة. ويعتقد بأن سلالة إنسان مشتى العربي هي التي استقرت في المنطقة حتى نهاية عصور مـــا قبل التاريخ، ذلك لأنه وجدت هنالك مجموعة متعددة من المواقع النيوليتية ذات التأثير الإبيرومغربي بالمنطقـــة بالإضافة إلى عدة مدافن.



وهي الآن معروفة لدينا بفضل الاكتشافات المتوالية. كما أن وحدة الإنسانية الإبيرومغربية العرقية توحي بالغرابة نوعا ما، وهي تمتد من شرقي عنابة حتى المغرب الأقصى، وقد أعطاه كهف أم التويزة (على الحدود التونسية الجزائرية) مميزات جديدة حيث نلاحظ ضخامة وجه الإنسان الذي اكتشفت بقاياه هناك ويتمتع بقامة طويلة، أما جبهته فكانت متقهقرة ... ويبدو أنه عاش حياة صعبة ومات شابا، ذلك أن التسوس الذي يلاحظ على أسنانه والكسر وداء المفاصل والأورام العظمية والتعفن، كلها تبين حالة البؤس التي كان يعانيها.



إن كل ما يمكن استنتاجه بناء على ما سبق يجعلنا ندرك تركيبه العظمي والعضلي الذي يتلاءم مع بساطة صناعته. وقد أبرزت رسوم كهوف لسكو (Lascaux) عبقرية الإنسان العاقل بفرنسا.

أما في المغرب فقد عثر على بقايا إنسان كرومانيون، غير أنه كان مجهول الهوية، وكانت صناعته رديئة، فلم يكن فنانا، بل كان يمارس طقوسا همجية كترع الأسنان إلى جانب معتقداته الدينية التي أكدتها مدافنه الجنائزية التي تحمل جدرانها رسوما ذات طلاء أحمر تمثل مطاردته لقطيع الأروى.

كما أن صلابة أجسام هذا النوع من البشرية تعطي صعوبة لتحديد نوعية البقايا العظمية التي تستخرج من الحفائر، حيث يبدو أن نموذجا من نساء مشتى العربي يؤكد بأنهن قويات البنية، مما جعل المتتبعين لهذه الدراسة يعتبرون بأن إنسان مشتى العربي أقرب إلى إنسان نياندرتال منه إلينا. وقد أثار الموضوع نقاشا كبيرا.

كذلك يبدو من نتائج التقنيات الأثرية بأن الإنسان الإيبيرومغربي في مشتى العربي كان على صلة مع القفصيين الذين كانوا يستقرون على سواحل البحر المتوسط، حيث وجدت بقاياهما جنبا إلى جنب.

أما في المنطقة التلية القسنطينية، فلم تكن هناك في غالب الأحيان إلا مسافة قصيرة تبعد الرمادية القفصية الداخلية في جبال الأطلس عن مناطق سكن الإنسان الإيبيرومغربي القريبة من الساحل لدرجة أنه يمكن رسم حدود منطقتي مستقرات هذين النوعين من البشر العائدين إلى ما قبل التاريخ بدقة.

وتختلف هذه النظرة في غربي بلاد المغرب حيث تقل بقايا القفصي ويتغلغل الايبيرومغربي هنا إلى الأقاصي البعيدة. ومن المحتمل أنه تسلق جبال الأطلس في المغرب الأقصى. حيث يبدو أن احتلاله لجزء كبير كان قد تم بسرعة. إلا أن فجائية الغزو تتعارض مع اختفائه البطيء.

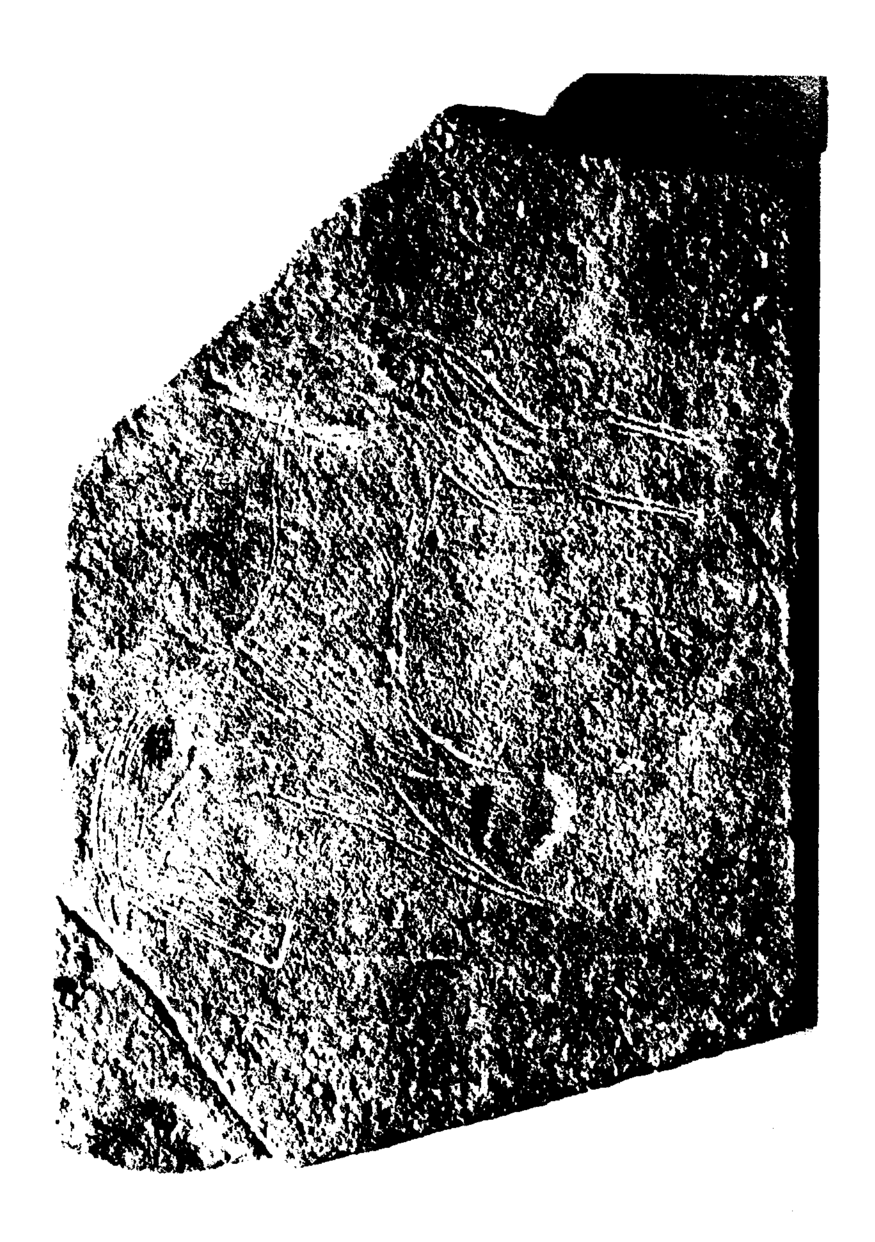
وعلى العموم نلاحظ بأن مواقع إنسان مشتى العربي تحتوى على تأثيرات نيوليتية مثل الفخار وصقل الفؤوس وتربية الحيوانات الداجنة التي وجدت عظامها في كثير من المواقع، واستعمال الآلات الحجرية الدقيقة ذات الشكل الهندسي التي وجد ما يشابهها في المواقع القفصية، كما كان طعامه الحلزون.

ويتضح من موقع كوليمناتية (تيارت) الإبيرومغربي بأن هناك موجة استعمارية يمثلها التغير الثقافي الذي شمل المنطقة خلال النيوليتي. وقد انقرض إنسان مشتى العربي تدريجيا، ويعتقد بأن آخر جماعته كانوا قد إجتاحوا جزر الكناري، وأن أحفادهم في الجزر هم الجارنش (Guarnches) الذين إكتشفهم الأوروبيون في العصور الوسطى وأبادوهم خلال القرن 16.



أوج التطور الصحراوي
ومخلفات الإنسان المغربي

"العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ"



"كان أوائل سكان إفريقيا من الجيتوليين والليبيين، وهم أقوام خشنون وبرابرة يتغذون بلحوم الحيوانات أو بأعشاب المروج على شاكلة قطعان الماشية".

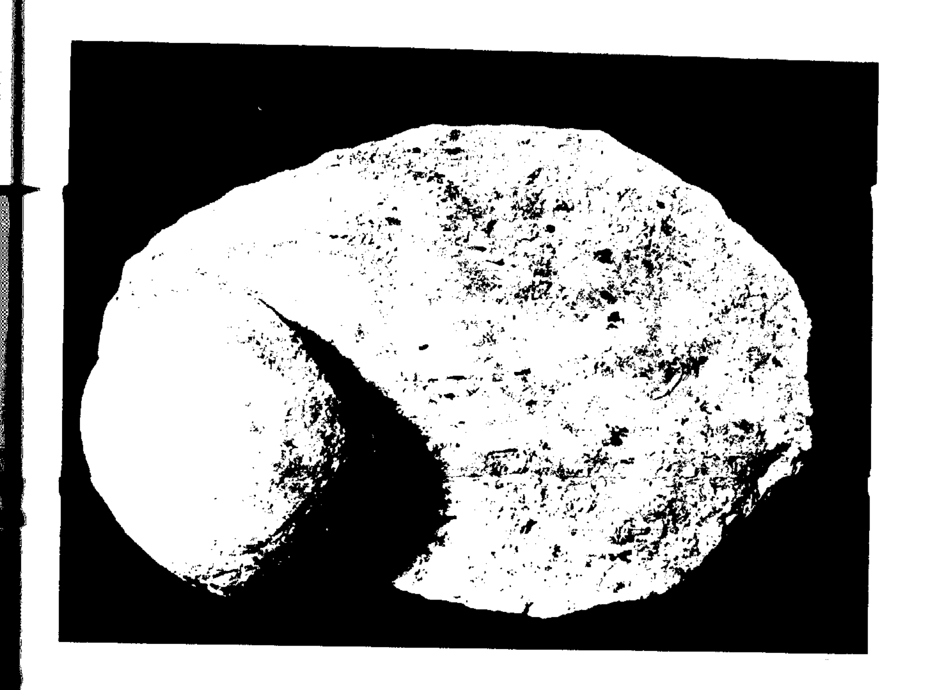
سالوست « SALLUSTE ».

يشمل مصطلح العصر الحجري الحديث نوعا من التطور الحضاري المتعلق بالعصور الحجرية.

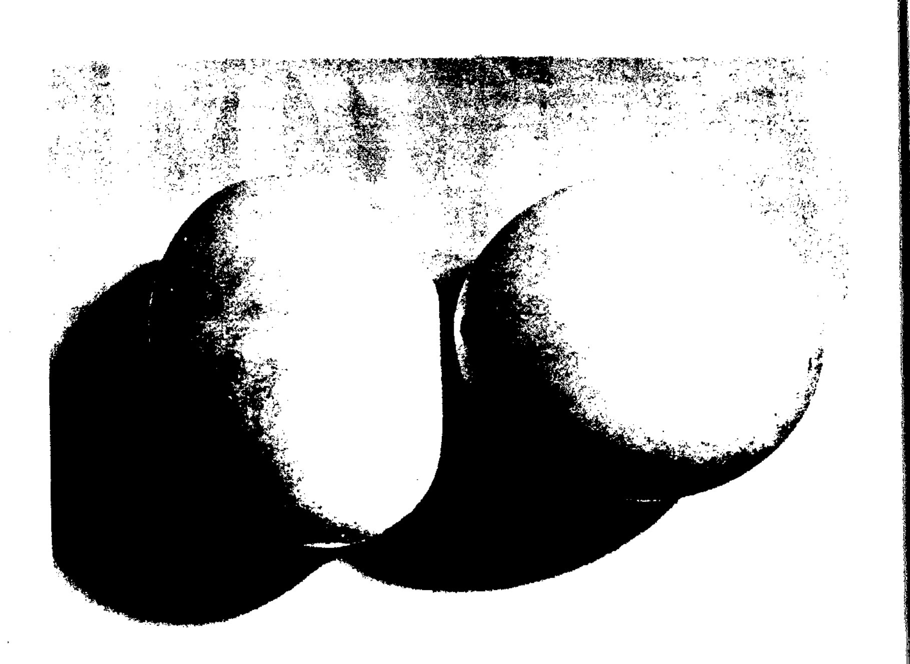
أما فجر التاريخ فهو يترجم لنا جانبا من تقدم معارفنا، فعندما يستعمل مثلا الصقل والتهذيب لرؤوس السهام الحجرية، والفخار والزراعة والرعي، فذاك من مشمولات العصر الحجري الحديث. و لم تعرف كل تلك الأشياء مرة واحدة، بل أتت تدريجيا. وقد تمثلت التطورات الكبرى لإنسان ذلك العصر في الثورة النيوليتية. والجدير بالذكر أن الإنتقال من مرحلة ما قبل التاريخ إلى فجر التاريخ كان قد تم تدريجيا، والحد الفاصل بينهما هو ظهور الكتابة التي تركتها بعض الشعوب التي عاشت في المنطقة.

إن اهتمام شعوب التاريخ القديم "بالباربار" المعاصرين لهم يجعلنا نستثنيهم من عالم الأميين الخاص بأناس ما قبل التاريخ. ويمكن أن تزودنا النصوص الأكثر دقة ووضوحا بأشياء جديدة حول دخول هؤلاء الأقوام الفترة التاريخية. وفي هذا المجال نشير بأن التأثيرات الخارجية كانت قد وصلت إلى الجزائر والصحراء مع بداية التاريخ، واستمر العصر الحجري الحديث في المناطق التي تصلها تأثيرات صور قرطاجة وروما. غير أنها سارعت في استعمال الحديد ودولاب الخزاف، مما يجعلنا نقر بأن هناك تضاربا بين العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ في التسلسل الزمني.

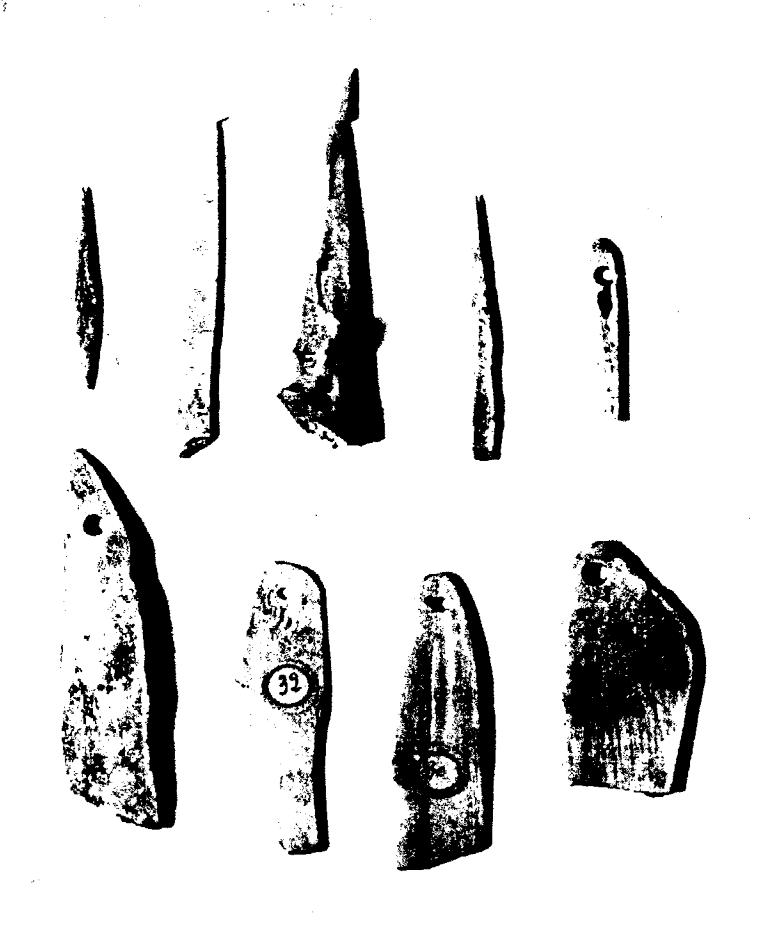
وقد تتضح معالم العصر الحجري الحديث منذ نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، بينما امتزج فجر التاريخ بعصر الحديد. ويمكننا هنا الإستعانة بسالوست لتوضيح هوية آخر مغاربة العصر الحجري الحديث. يضاف إلى ذلك الإطلاع على نتائج غزو الهكسوس لمصر والرسوم الصخرية في الصحراء وكذا نصوص هيرودوت.



ومن جهة أخرى توجد تأثيرات العصر الحجري ممتزجة بالحضارة القفصية المتطورة في مناطقهــا الأصــلية. ويظهر ذلك ممثلا في ملاجئ السكن، لا سيما في موقع الداموس الأحمر بالقرب من تبسة. و لم تستعمل المطاحن والمهاريس فقط لطحن الألوان المستعملة بدون شك في طلاء الأجسام البشرية، بل أيضا اســتعملت في ســحق الحبوب البرية والمزروعة.



أما بيض النعام الذي زين في بعض الأحيان بشرائط هلالية أو بحزوز فقد واجه خلال فترة النيوليتي منافسا له في الوظيفة يتمثل في الفخار الخشن، كما تطورت في تلك الفترة الصناعة العظمية بحيث شملت ...



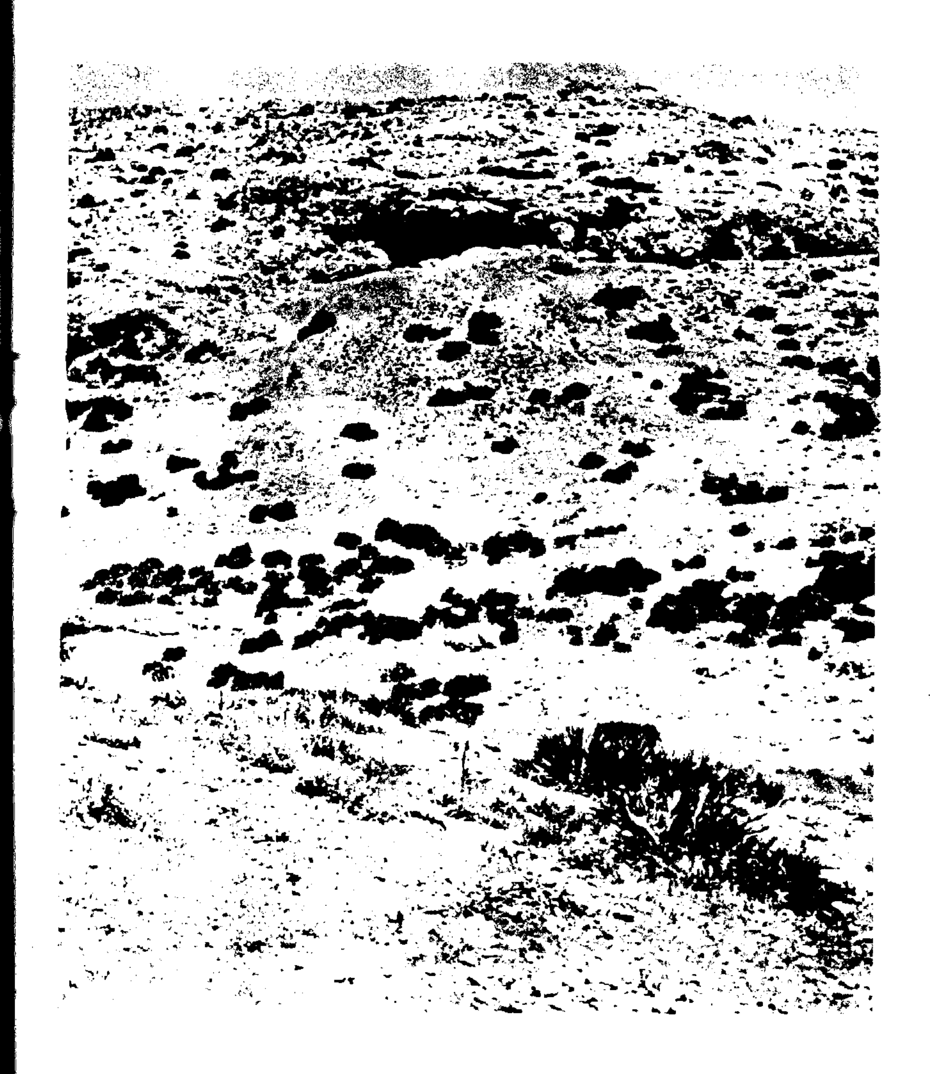
... رؤوس السهام ذات الثقب إلى جانب الأدوات المثقوبة الأخرى التي وجدت لها أمثلة في مغارة بوزباوين بالقرب من عين مليلة وهي محفوظة في متحف قسنطينة . ولا يصح الإعتقاد أبدا بأن تهذيب الحجارة قد تدهور في هذه الفترة حيث وجدت شفرات كبيرة وأدوات حجرية أخرى دقيقة بعضها هندسي الشكل، نذكر منها على سبيل المثال رؤوس السهام والفؤوس والبليطات المهذبة النادرة، وكلها يؤكد عكس ذلك.



لم يكن العصر الحجري الحديث وحده عامل تطور في المنطقة الإيبرومغربية، بل وجدت هناك تأثيرات خارجية جلبت معها ما بقي من الحضارة القفصية. ففي موقع كوليمناتية (تيارت) كان إنسان مشتى العربي يمثل الإنسان النيوليتي، ولكنه استخدم الآلات الحجرية القفصية الدقيقة ذات الأشكال الهندسية وذلك بتقنيات ومعارف جديدة.

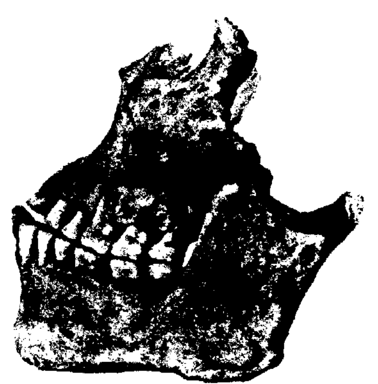
وكان طعامه اليومي يحتوي على الحلزون بالإضافة إلى سرطان (Les Carpeaux) المياه العذبة والسمك النهري. كذلك مارس الإنسان الإيبرومغربي (في هذه الفترة) نزع أسنان الفك السفلي والعلوي بالنسبة للنساء. ويظهر من بقايا هذا الإنسان بأنه أصبح أكثر خشونة بسبب مواجهته للطبيعة في المناطق التي عاش فيها.

وفي هذا الصدد نذكر بأن منطقة وهران تعتبر أكثر منطقة ملفتة للنظر ...



... إلى جانب المرتفع الساحلي لمرجاجو الذي يحد من توسع المدينة غربا وتنتشر فيه المغارات التي كان أغلبها قد سكن من قبل إنسان العصر الحجري الحديث. وفي الصورة أعلاه توجد مغارة البوليجون (POLYGONE) التي يوجد أمامها منحدر كبير تراكمت فوقه الأتربة من جراء الحفائر التي أجريت في المنطقة.





وهناك مواقع أخرى أقل أهمية يختفي بعضها في غابة المسيلة التي أزيلت أشجارها.

بالإضافة إلى تلك التي توجد على جوانب الشواطئ الصخرية الساحلية. مثلما هو الشأن بالقرب من الجزائر العاصمة، وبجاية وتشكل الأرصفة الساحلية الصغيرة ملجأ طبيعيا للإنسان.

وتجدر الإشارة إلى أن متحف وهران يزخر بأكبر مجموعات تملكها الجزائر من بقايا العصر الحجري الحديث التي عثر عليها في المغارات الساحلية، وتظهر في المواقع المشار إليها أول بقايا الجماعات البشرية التي لا تظهر عليها فضاضة وخشونة إنسان مشتى العربي.

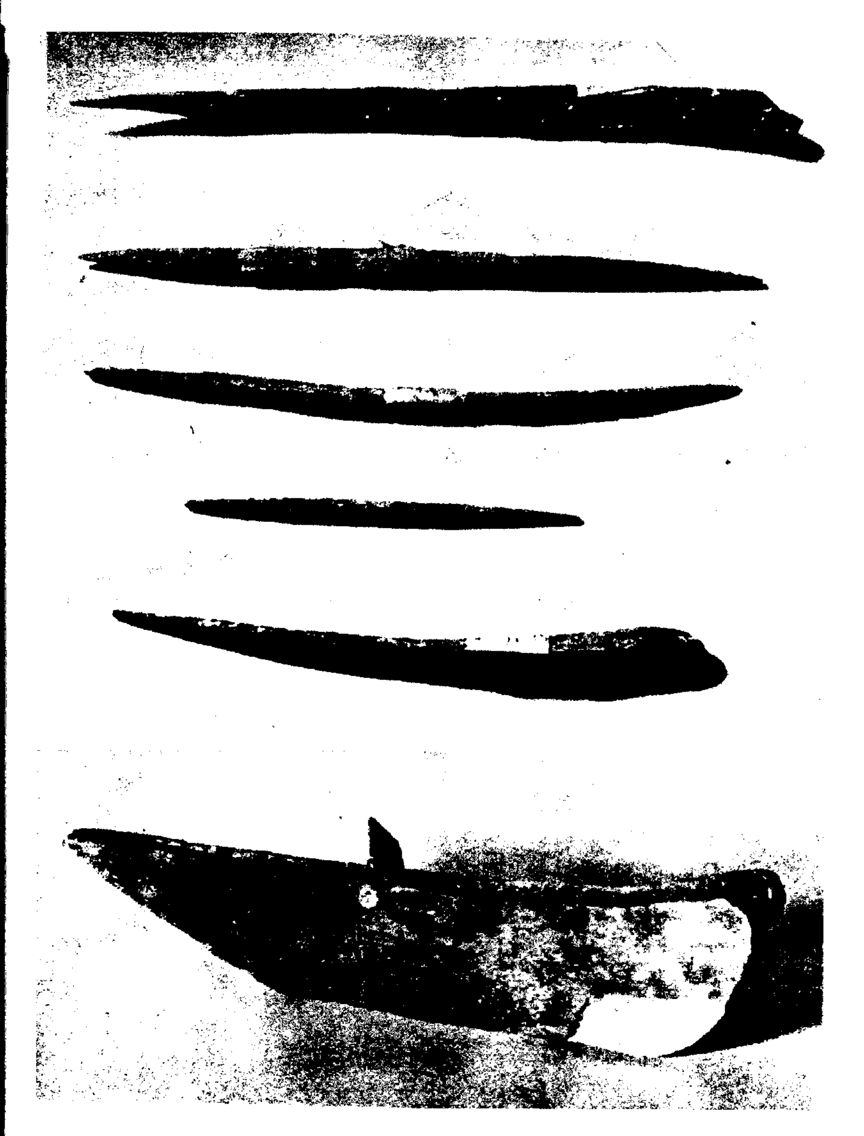
كما أن قواضمه أصبحت صغيرة، فيما عدا تلك التي عثر عليها في مغارة الوادي المالح (RIO SALADO) حيث وجدت عظام فكوك سفلية (الصورة أعلاه) ذات حواف مقلوبة وبها نتوءات في العظم الصدغي الكبير. وقد ترتب عن نزع الأسنان العلوية صعود مجموعة أسنان الفك السفلي لتعويض ثغرة منطقة القواطع.



ونفس الشيء يقال في الجمجمة التي عثر عليها في البوليغون بالتروجلوديت (بالقرب من وهــران) حيــث لاحظنا أن الجبهة متقهقرة مع بروز عظمي الحاجبين والأنف العريض واستطالة عظام الصدغ التي ترتكز عليها عظام الرأس إلى جانب بروز عظام الفكين ونزع الأسنان.



بعد ذلك تأتي صناعته التي تتشكل من فؤوس وبليطات مصقولة عثر على أمثلـــة لهـــا في مغـــارة نـــوازو (NOISEUX) ... أنظر الصورة أعلاه.



... بالإضافة إلى المثاقب العظمية المصقولة هناك منحل عظمي اكتشف في مغارة البوليغون. هذا إذا كـــان فعلا من الضروري إعطاء هذا المعنى لذلك العظم الذي لا يزال الصوان عالقا به ...



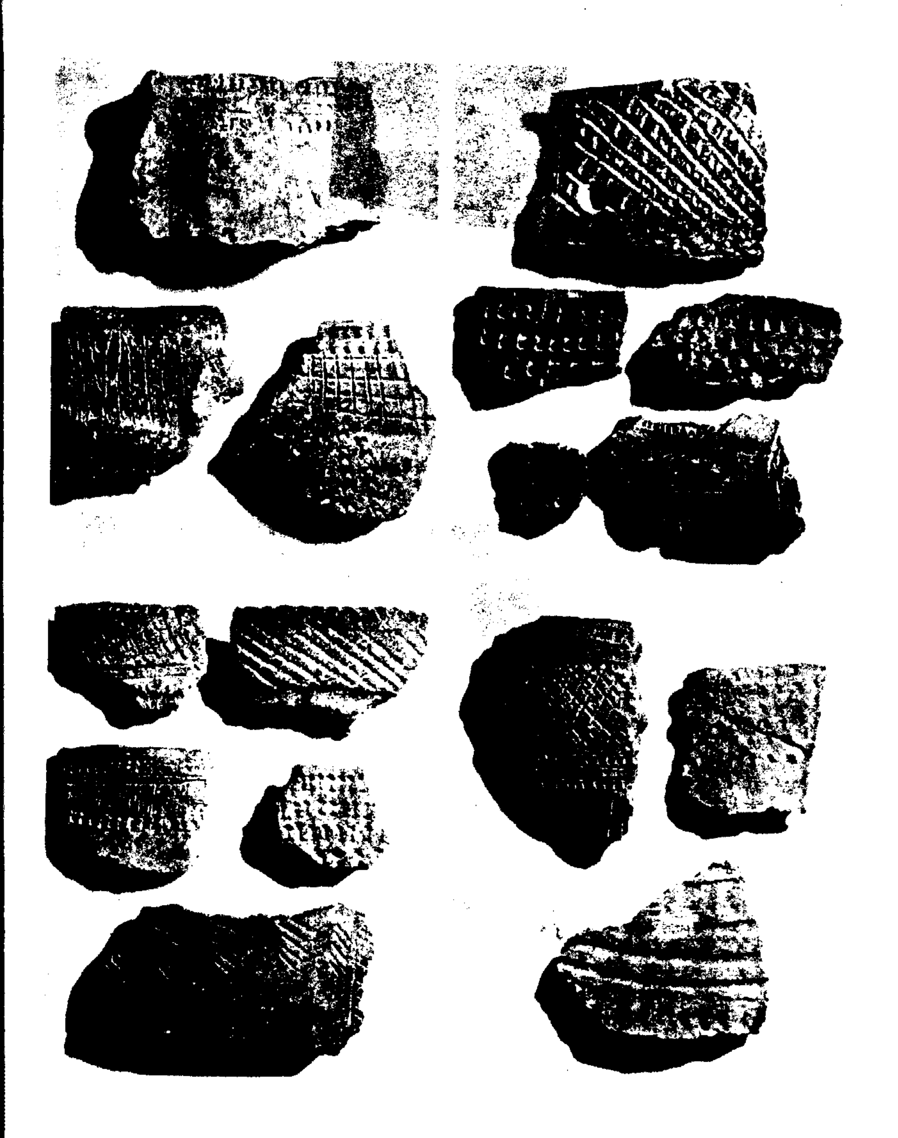
... إلى جانب حلي رديئة الصنع عثر عليها في مغارة الجنوب التي تشتمل على الأقــراط المصــنوعة مــن الحجارة والقواقع المثقوبة والفخار على الخصوص.



وقد وجدت آلاف الكسر الفخارية منتشرة (في الصحراء) ولكن نادرا ما توجد الأواني الكاملة أو تلك التي يمكن إعادة تشكيلها مثل الجرار الكبيرة أو الكؤوس الصغيرة وهي الوثائق الفريدة التي اكتشفت أمثلة لها في مغارة الغابة. أما الكسر الفخارية ذات الزخارف التي تمت عن طريق الحز فهي كثيرة ومتنوعة، ولكنها مع الأسف غير كاملة (أي لم توجد آنية بأكملها تدل عليها) إلا أنها عرفتنا عن نوعية المقابض التي كانت تزود بها الآنية الفخارية ...

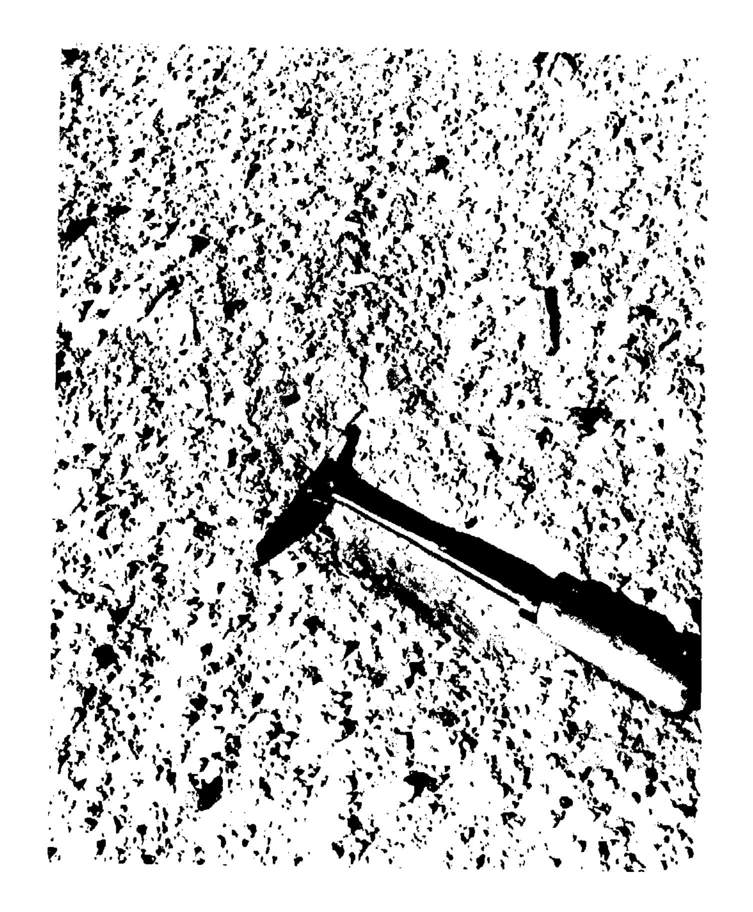


... سواء تلك المزودة بمقبضين أو بثقوب وحدها أو آذان مثقوبة. كما أن الخطوط والمربعات والنقـــوش والزخارف الأخرى كثيرة رغم قلة ترابط عناصرها الأساسية.





ومن بين الزخارف المشار إليها نشير إلى تلك التي تكثر في فخاريات المنطقة الوهرانية أكثر من أي منطقة جزائرية أخرى، والتي تختلف كثيرا عن تلك التي تصنع بواسطة السلال وهي الصفة المميزة للفخار الصحراوي. وهناك زخرفة فريدة من نوعها. فتح اكتشافها المفاجئ آفاقا بعيدة، عثر عليها موضوعة على فخارية، قرب تيفاريت (منطقة سعيدة) نقشت عليها زخرفة تقربها من أواني أوروبا الجنوبية التي تعرف بالمزهريات ذات الشكل الشبيه بالكأس. وتضم هذه الكسر إلى مثيلاتها التي اكتشفت في المغرب الأقصى، وكلها تؤكد بداية وجود علاقات مع سكان شبه جزيرة أيبيريا.



ومن جهة أخرى توفرت في العصر الحجري الحديث الصحراوي ميزة لم تتوفر في نظيره المغربي.

فإذا كانت مكوناتهما تختلف في أساسها، فإن تنظيمها والمكانة التي احتلها كل منهما تكتسي طابعا خاصا. حيث تبرز التنوعات المتزايدة وروعة التقنية والفن ابتداء من جنوب الأطلس الصحراوي. وباستثناء بعض المنافذ التي تؤدي نحو الشمال (مثل تيارت)، فإن العصر الحجري الحديث في الصحراء يبدأ بنقوش الجنوب الوهراني وأشباه رؤوس السهام التي اكتشفت في بوسعادة.

أما في أقصى الجنوب الشرقي، فإن تأثيرات الحضارة القفصية تشمل المواقع الأثرية في كل من وادي سوف وورقلة، حيث تنتشر الأدوات الحجرية الدقيقة ذات الأشكال الهندسية التي هي من أصل قفصي، وتنتشر السهام الصحراوية جنبا إلى جنب مع الرمال الصحراوية الذهبية.



وتتأكد الميزة المشار إليها عند تهذيب كتلة المادة الأولية. كما أن نواة الصوان الرمادي والأبيض والوردي أو القريب من الأبيض مثلما تشير إليه الصورة أعلاه. وقد تنتابها العروق في بعض الأحيان أو تكون من الحجارة الشبيهة بالكريمة وتظهر في شكل القلنسوة أو التاج الذي يرتكز فوق زاوية الضرب.

كل هذه الأنواع التي أشرنا إليها تحمل آثار فصل متقارب لشفرات دقيقة تشبه تلك التي عرفها القفصيون المتطورون.



ويمكن أن تنفصل الشظية نتيجة لتهذيب دقيق طويل ومسطح يشمل وجهي الأداة. مثال على ذلـــك مـــا تظهره السكاكين (الصورة أعلاه) التي عثر عليها في تيديكالت والتي يذكرنا شكلها ورقتها وتهذيبها الخفيـــف بسكاكين الأنيوليتي (L'Enéolithique) المصري.

إلا أنه لم تصل إلى الكمال بعد سواء من حيث المادة أو الشكل، وتوجد نماذج لها تتمثل في اللوحات الملونة التي وجدت في هذا الكتاب.

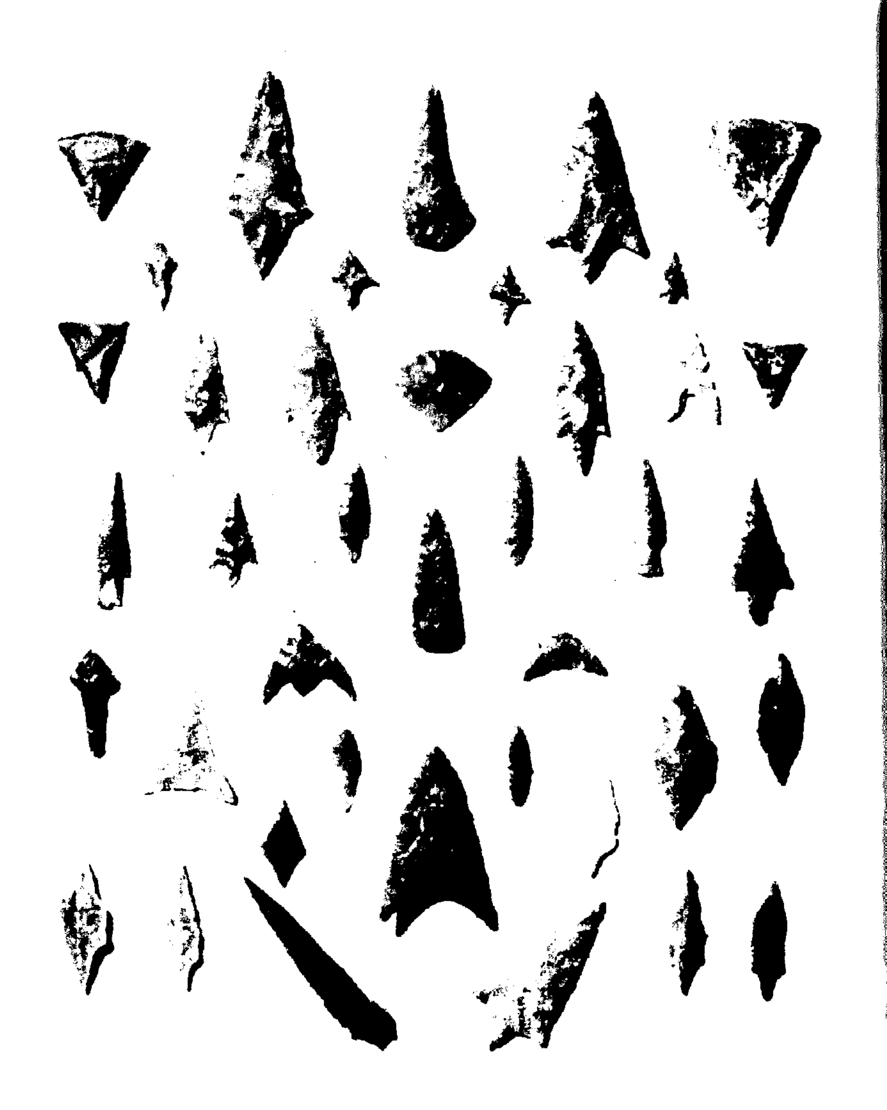




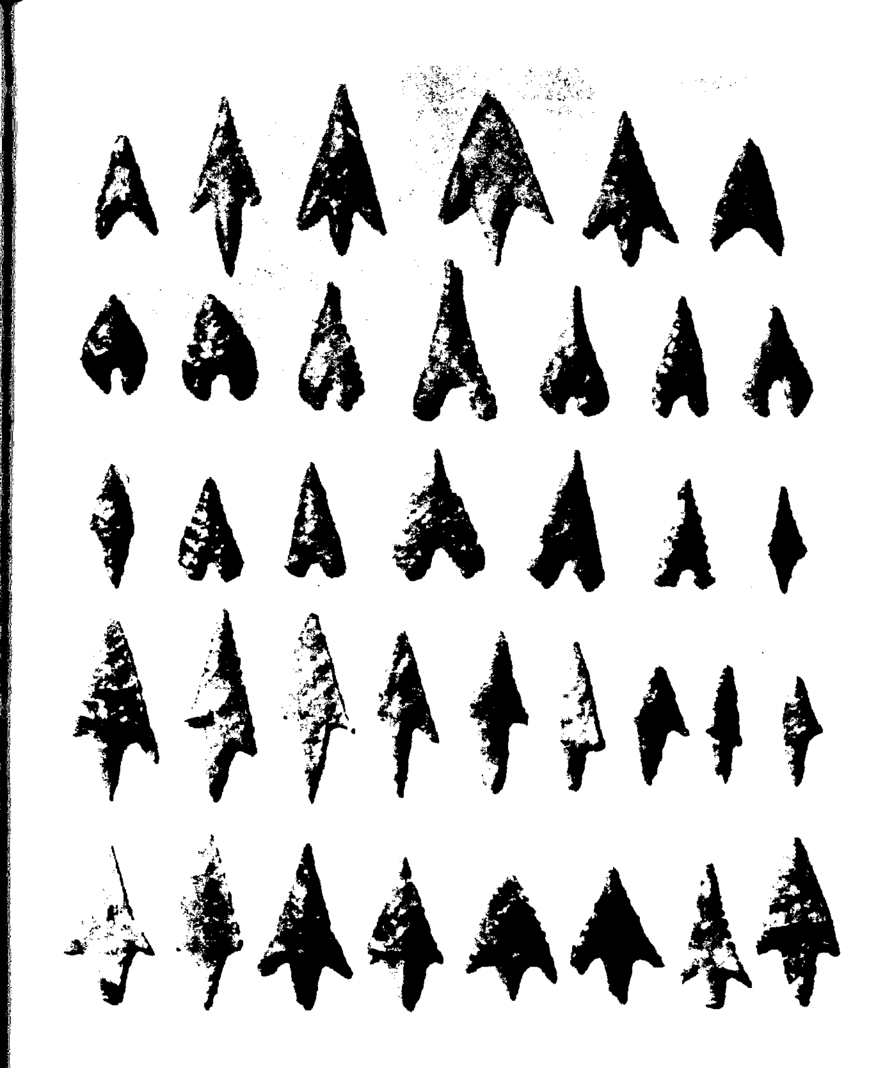
أما المجوهرات، فإنها تتشكل من عدة رؤوس سهام ذات أشكال رشيقة شديدة التنوع، صنعت من مواد مثل ما تظهره صورة غلاف هذا الكتاب. ومن بين عشرات الأشكال التي أحصيت في الصحراء هناك لا سيما القليلة العدد منها نشير إلى تلك التي وجدت ما بين ورقلة وغدامس والتي يلاحظ بصفة خاصة تطور تقنيتها بعد تكبير صورها.



تظهر في الصورة أعلاه على اليسار الآلة المشهورة عند دارسي ما قبل التاريخ بـــ برج إيفل (TOUR EIFFEL) لأنها تشبهه، وقد عثر عليها في تيديكالت. إضافة إلى رأس السهم الكبير المزود بساق وأطراف ذات حواف مسننة التقطت من ورقلة. وتلك الآلة المسننة الأخرى التي تشبه الورقة، وقد كانت بمثابة نقطة انطلاق جماعيـــة لـــبعض الشظايا التي لم تأخذ شكلا محددا، وهي شبيهة في ذلك بقصعة الماس المهذبة بالنسبة لحجر الماس الخام . . .

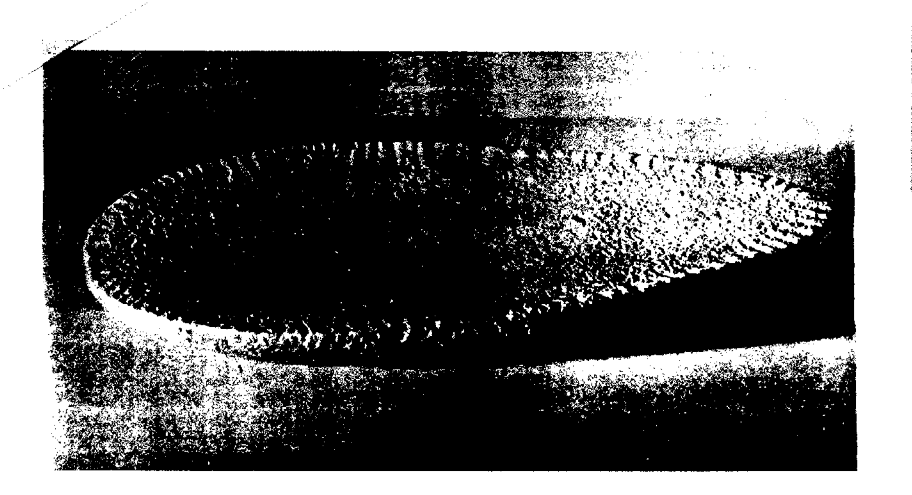


... وهناك أشكال غريبة وهياكل صغيرة وصنانير حجرية ذات شوكة أو إثنتين ورؤوس سهام ذات شفرة عريضة وأخرى مزدوجة مزودة بتروس.



... إلى جانب رؤوس سهام أخرى مزودة بمقابض في قاعدتها أو مقعرة، وأطرافها غير متساوية ثم شفرات وأسنان تشبه في شكلها المدقة.

كل هذه الصناعة التي جمعها العقيد تيري (Le Colonel Thiriet) بحرص شديد، تكفي لجعل صناعة العصـــر الحجري الحديث في الصحراء من أجمل الصناعات الحجرية العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ.



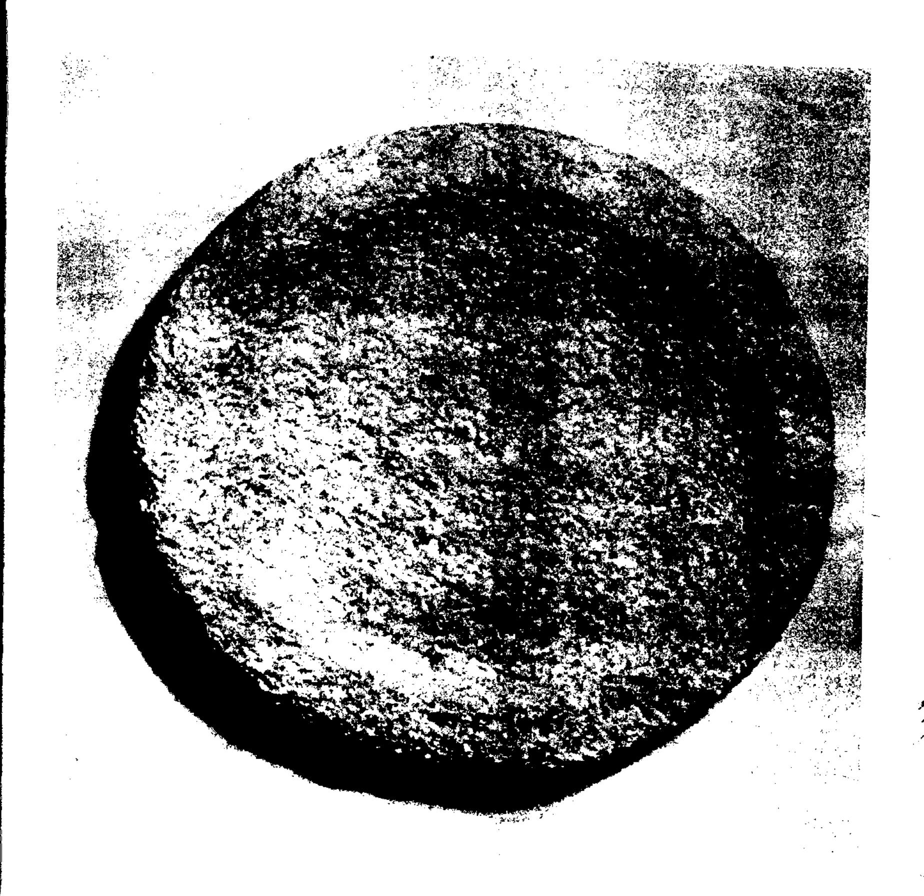
يبدو أن مهارة (الصانع) كانت تزداد تقدما مع صقل الحجارة الأكثر صلابة، فقد استعمل القفصيون بالفعل الرحى المنبسطة، ولكنهم لم يصنعوها مثل هذا النموذج الوحيد (الذي تظهره الصورة أعلاه) والذي يحتـــوي على حافة مخططة ويأخذ شكلا بيضاويا شبيه إلى حد ما بالأنبوب الذي عثر عليه في (التاسيلي — ناجر).



تظهر في الصورة أعلاه مدقات صغيرة ومهاريس ومساحق استعملت ربما لسحق الألوان وتهذيب الفؤوس والبليطات الصغيرة المصقولة التي كان بعضها صغيرا بشكل يمكن اعتبارها ألعاب أطفال أو أدوات نذرية، ويزيدها الكوارتز والغرانيت وكذا الصباغ العضوية والصلصال صلابة في مادتها مثلما تشير إليه إحدى لوحاتنا الملونة ...

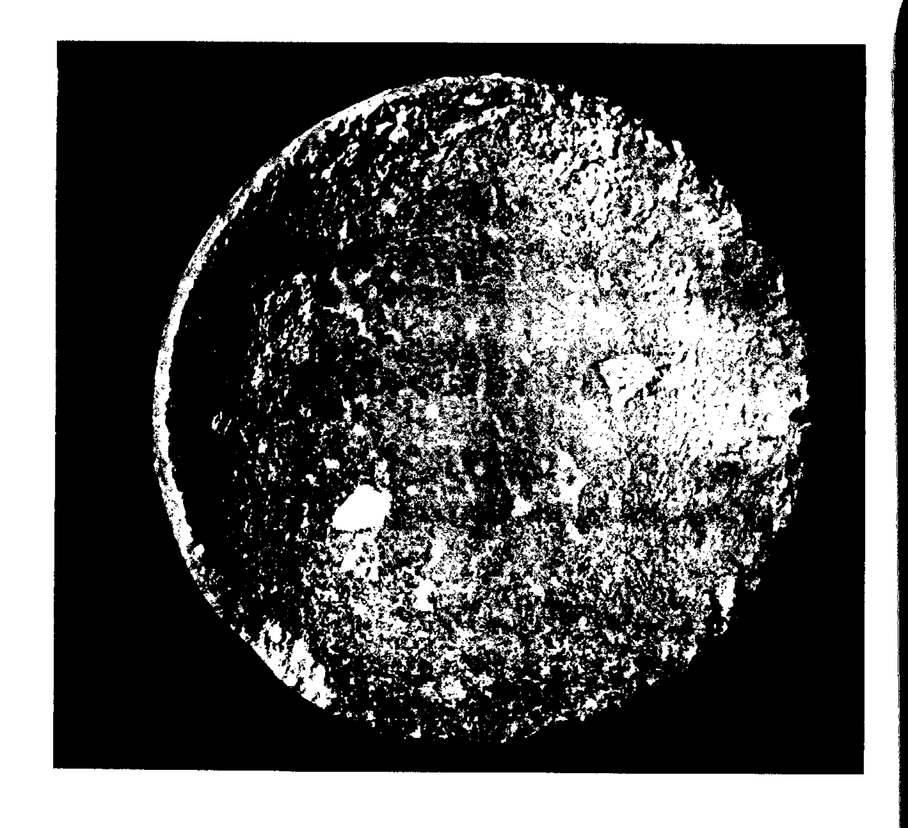


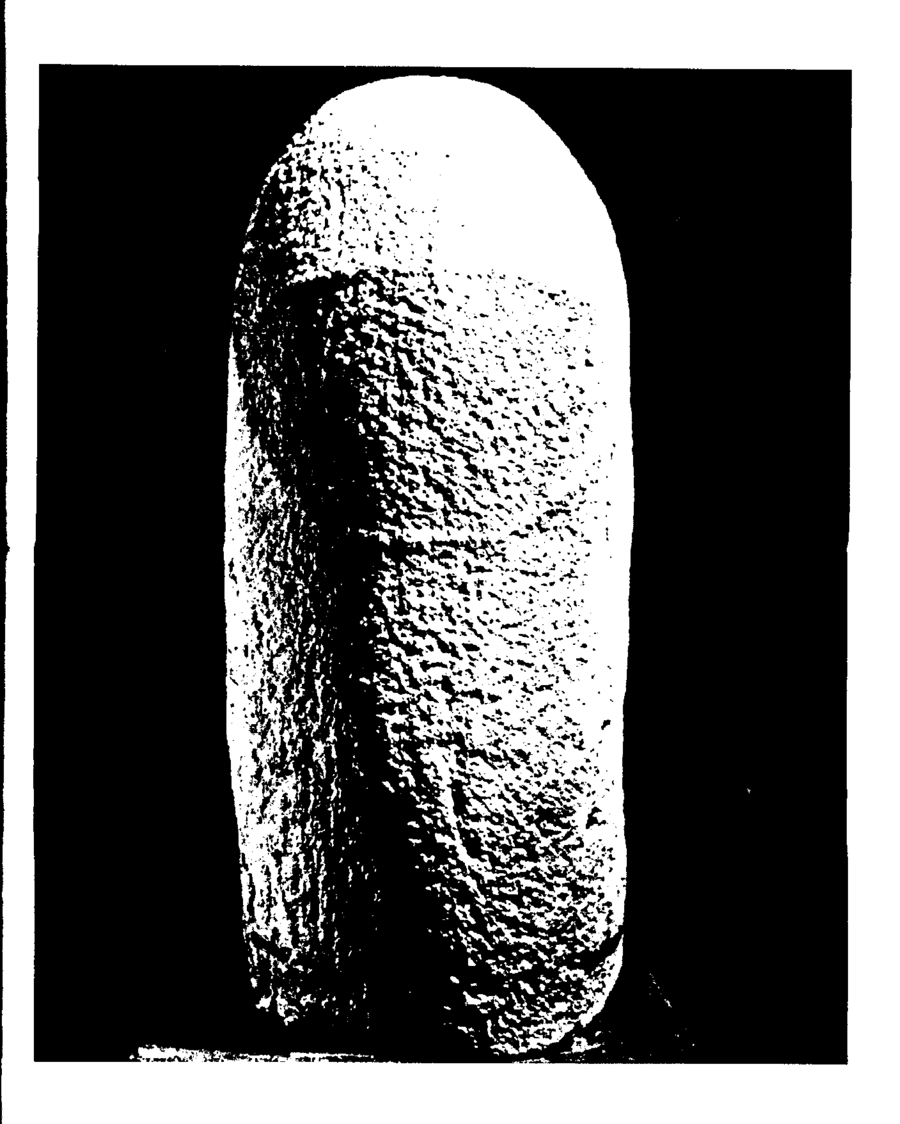
غير أن أعظم الإنتصارات المحققة تتمثل في صناعة الفأس الكبيرة ذات الحلق الغائر ويعتبر الحرفي الذي أنجزها جدير بأن يشارك في فن النحت الخالد.



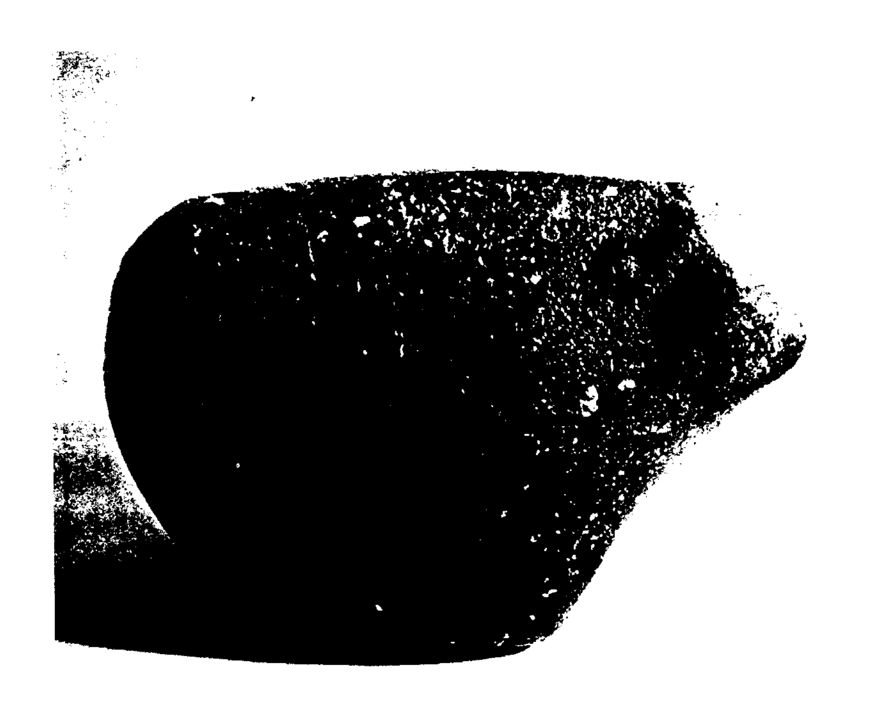
ونقترب أيضا بصناعة الأجفان(*) الحجرية (الأواني الحجرية المفرطحة) من مهارة فن النحت (أنظر الصورة أعلاه) التي انتشرت حينذاك ونادرا ما وجدت جفنة كاملة. وهناك أمثال لها بمتحف باردو (بالعاصمة الجزائرية) أربعة أجفان (قصاع) مصنوعة من الصلصال أو من الرخام إلى جانب أجزاء أخرى.

(*) أجفان أو قصاع في اللهجة الجزائرية. مفردها قصعة تصنع من الطين والخشب في وقتنا الحالي وتستعمل لعجن الطعام أو لأكله جماعيا لا سيما في أريافنا الجزائرية.





أما معبودات تابلبالة التي بلغ تعدادها تسعة (ثمانية منها محفوظة في متحف باردو). فقد كانت غير متقنة الصنع من قبل (الطرقيات)، وهي عبارة عن بتاتيل غريبة تحمل وجوها بيضاوية الشكل، وغير مزودة بأعين وفم وأذنين، أي أنها لا تحتوي على المخارج الطبيعية الموجودة في الرأس ... (أنظر الصورة أعلاه).



ويجسم هذا التجريد مشهد رأس البقر المشهور (الصورة أعلاه) الذي عثر عليه في سيلي، وهو عمل فني لا يمكن للفن الحديث أن ينكره . . .



... يضاف إلى ذلك رأس حمل تامنتيت وظبي قلعة جردال الذي يزين أقصى رأس المدق (أنظر الصورة أعلاه).

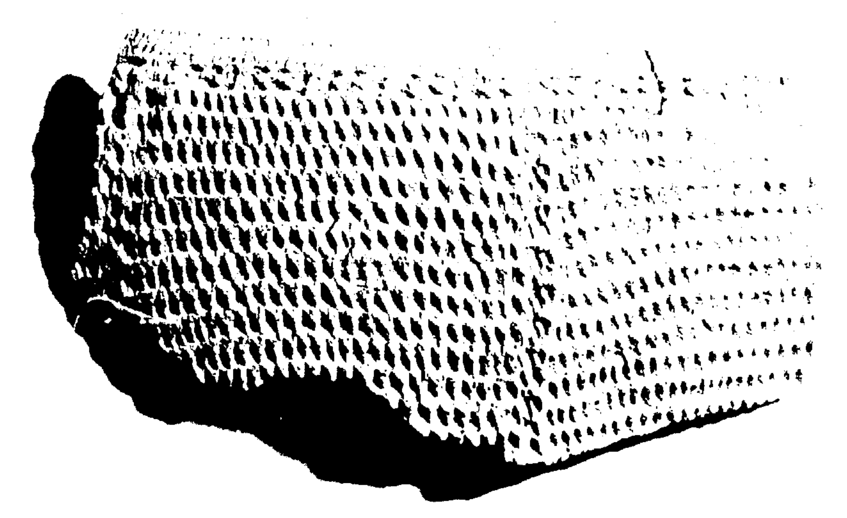


... ورأس غزالة (إيماكسن) "Imakassen" الأنيقة الناعمة.

ورغم قلة وندرة هذه الأدوات. إلا أن قائمتها تزداد من سنة إلى أخرى.

وآخر اكتشاف تم في هذا المجال كان سنة 1957 على أقصى طرف مدق سميك وهي معالم كبش نحتت.





أما الفخار فإنه أكثر بساطة، ونادرا ما تكتشف الآنية كاملة. وفي غالب الأحيان تكون الآنية مقسمة إلى عشرات الأجزاء. كذلك يلاحظ بأن زخرفتها كانت تتم عن طريق الحز على جدرانها وهي لا تزال عجينة وذلك باستعمال المشط أو استخدام آلة صنع السلال، وأدوات النسج القوية.

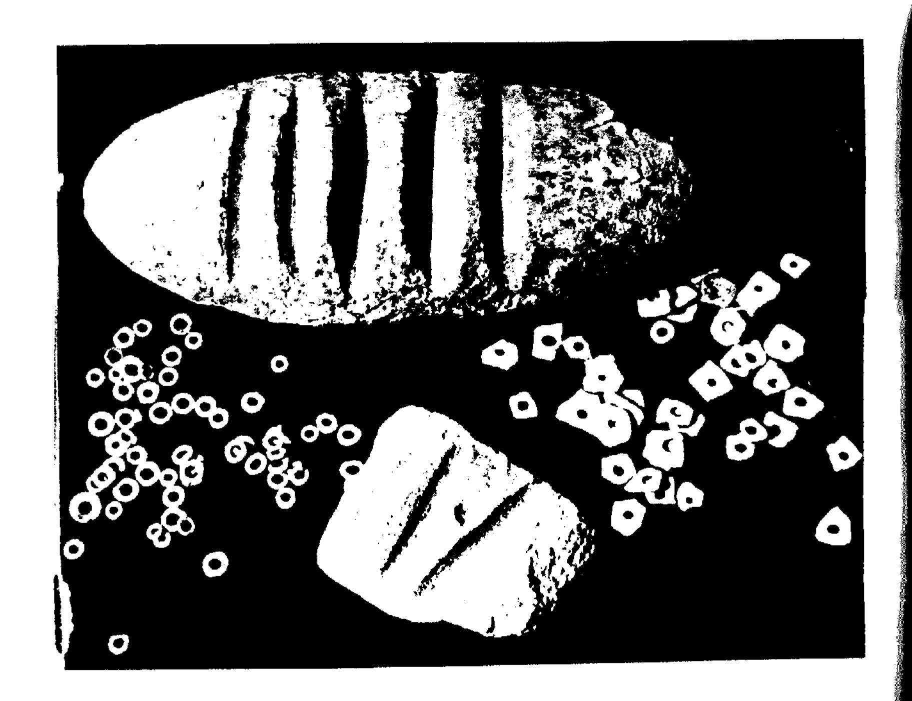


إن اختلاف الأشكال ونوعية العجينة، ثم طريقة تجفيفها يساعد الأجزاء الفخارية البسيطة على مقاومة تقلبات الطبيعة في الصحراء أو البقاء في نفس المكان الذي اجتازه جامعو الحجارة المهذبة والمصقولة. وقليلا ما كانت أشكال الفخار المشار إليه معروفة لا سيما تلك الأواني الكبيرة ذات القاعدة المحدبة وغير مزودة بثقب. وقد ساعد استعمال الفكر الإنساني على إعادة تشكيل إحداهما حيث تبين بأنها تحتوي على زخرفة في الظهر، وعلى حافتي الرقبة. وبالتأكيد، فإن الأدوات الدقيقة المصنوعة من أدوات هشة وذات حجم صغير، سواء تلك المصنوعة من العظم أو الأصداف، كانت قد حفظت بصورة سيئة فيما عدا الموجودة في المواقع الأثرية أو تلك المدفونة في أرضية المغارات.

ويلاحظ أن أجزاء بيض النعام منتشرة بكثرة في المواقع التي لم تتعرض للتلف، من ذلك مثلا وجود مجموعة أجزاء ناتجة عن تكسير بيضة كانت قد استعملت كآنية.



رسوم عربة حربية وجدت عالقة على جدران تامجرات (تاسيلي-ناجر) مقياس حوالي ½ .G.N فيما تظهر مطاردة الغرامنت للإثيوبيين ساكني الكهوف، وهم ممتطون عربات تجرها أربعة خيول ... هيرودوت ....CLXXX II، IV.



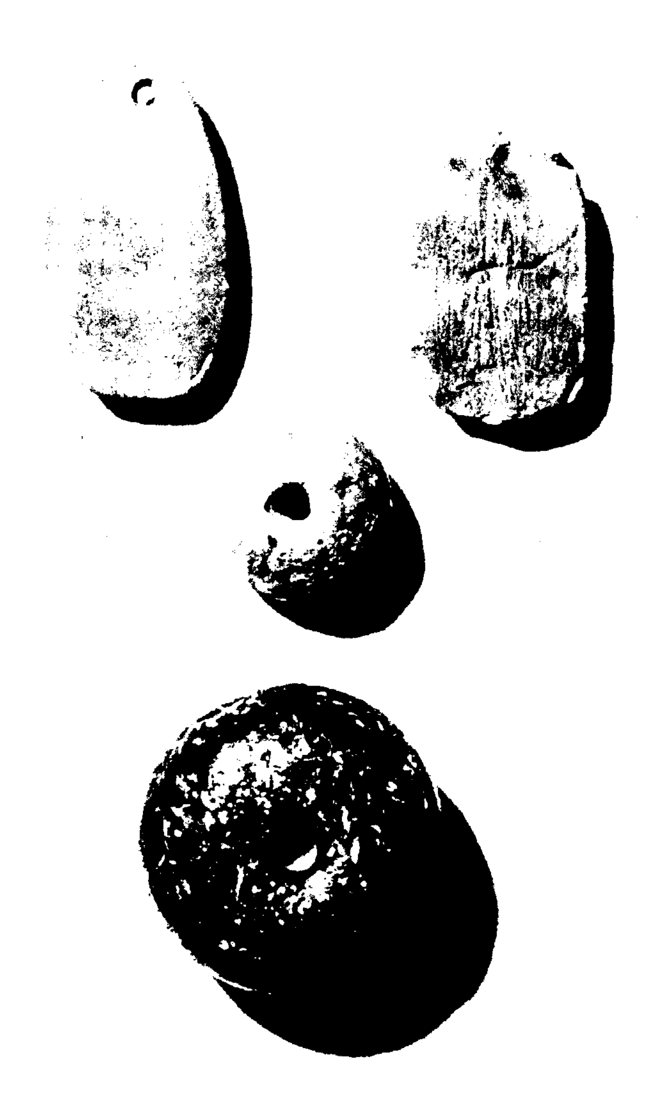
تظهر في الصورة أعلاه أجزاء قطع غير متساوية بصدد الثقب أو سبق ثقب بعضها. وهناك أسطوانات كدمة الإستدارة متآكلة لوجود ثقوب في المصاقل الخاصة التي استعملت لهذا الغرض.

ومن جهة أخرى، *فإن علم الإنثروبولوجية الوصفية* يعرفنا بكيفية *الطريقة التي كان الصانع* يتبعها لإدارة عدة اسطوانات في آن واحد سواء كانت متناضدة أو ملتصقة لبعضها بقطعة من الجلد.

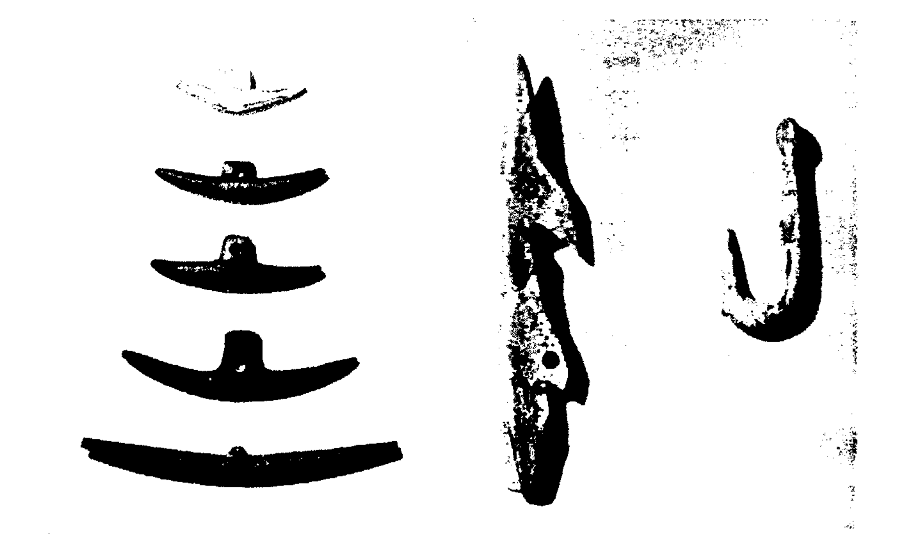
ويمكن أن تكون تلك الأسطوانات المستديرة قد اتخذت كحلي أو عملة مثلما يفعل في يومنا "الكوريس (Les Cauris)"[*].

---

[*] الكوريس: نقود صدفية كانت رائجة حتى وقت قريب في الهند وإفريقيا السوداء.



يلاحظ في الصورة أعلاه قطع حلي وتمائم، وكذا حجارة مثقوبة. وبعض الأصداف البحرية المتحجرة . . .



... كما أن آلات الصنانير المزدوجة ربما كانت هي الأخرى بمثابة حلي ثمينة بفضل دقة صناعتها ومرونتها لكي تستعمل في الصيد. ويبدو أنه أوتي بها من منطقة جنوب الصحراء المحاذية لدكار.

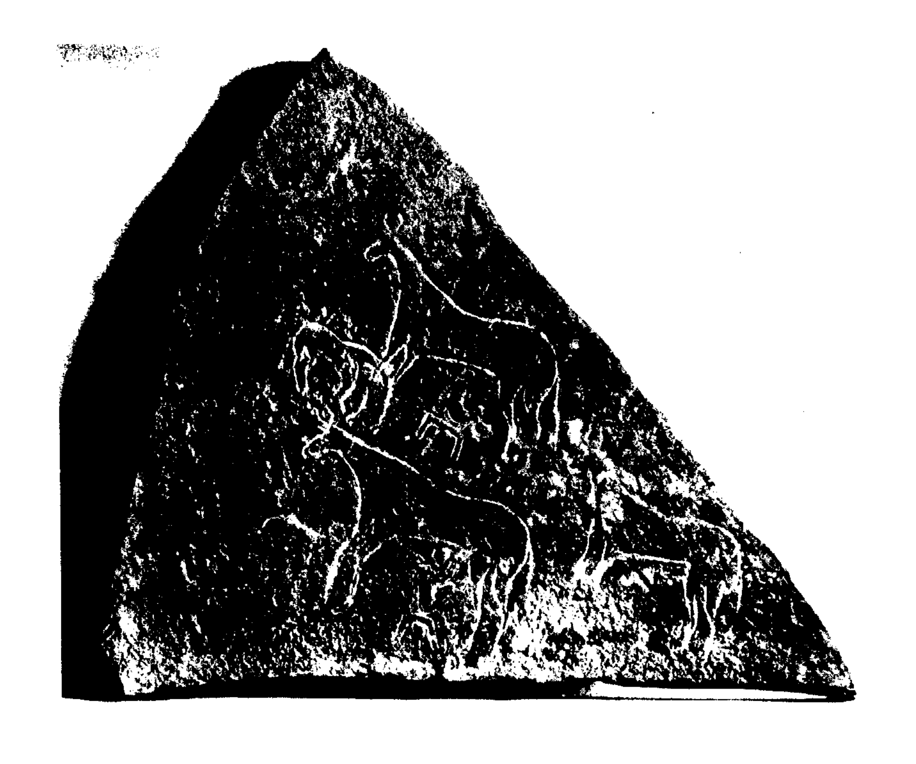
وقد لا نقبل ممارسة الإنسان الصحراوي النيوليتي لصيد الأسماك. إلا أن وجود بقاياها في فضلات طعامه ببعض المناطق الموجودة على أطراف الأنهار الدائمة الجريان، وكذا شواطئ المستنقعات والبحيرات المغلقة يؤكد ما ذهبنا إليه. وتبدو في الصورة أعلاه صنارة من العظم وخطاف من عاج فرس نهر (اصطيد) من الصحراء الجنوبية وهو آخر دليل إثبات.



وأخيرا، فإن فن الرسوم الصخرية يعد هو الآخر ميزة تكاد تنفرد بها الصحراء النيوليتية وقبيل التاريخ. ولتوضيح ذلك يتطلب الأمر إنجاز عدة مجمعات صور (Albums) على شاكلة الصور الموجودة أعلاه، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا وجدنا رابطة تجمعنا بهذه الأعمال الفنية. تبنى على الدقة العلمية اللائقة لإعادة إنتاجها من جديد عن طريق الرسم.

ولا نقوم هنا إلا بتقديم بعض النماذج على أمل أنه بالإمكان تحقيق مدونة تخصص للفن الصحراوي في يوم ما.

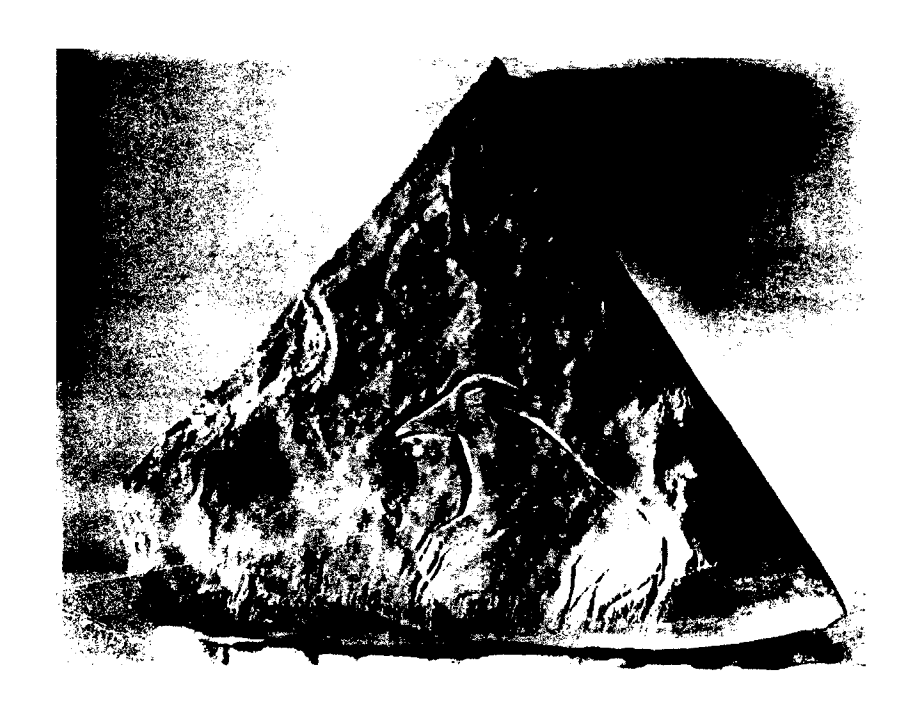
وهناك عدة نقوش ورسوم صخرية تميز جبال الصحراء الوسطى الجزائرية مثلما هو الشأن في جبال الهقار والتاسيلي اللذين نقل الكثير من رسومهما إلى متحف باردو. ويمكن تصوير هذه الأخيرة لا سيما تلك التي عثر عليها بجرف التربة في الجنوب الوهراني ...



... ويلوح في الصورة أعلاه مشهد أخذ من رسوم نفس المنطقة المشار إليها آنفا (جرف التربة)، حيث يجلس الحلابون على مناضد صغيرة في الوقت الذي يوجد فيه عجل أمام أمه يدر عطفها، وفي هيئة استعداد تام للرضاعة. مثلما جرت عليه العادة في بلاد المغرب (عند حلب الأبقار).



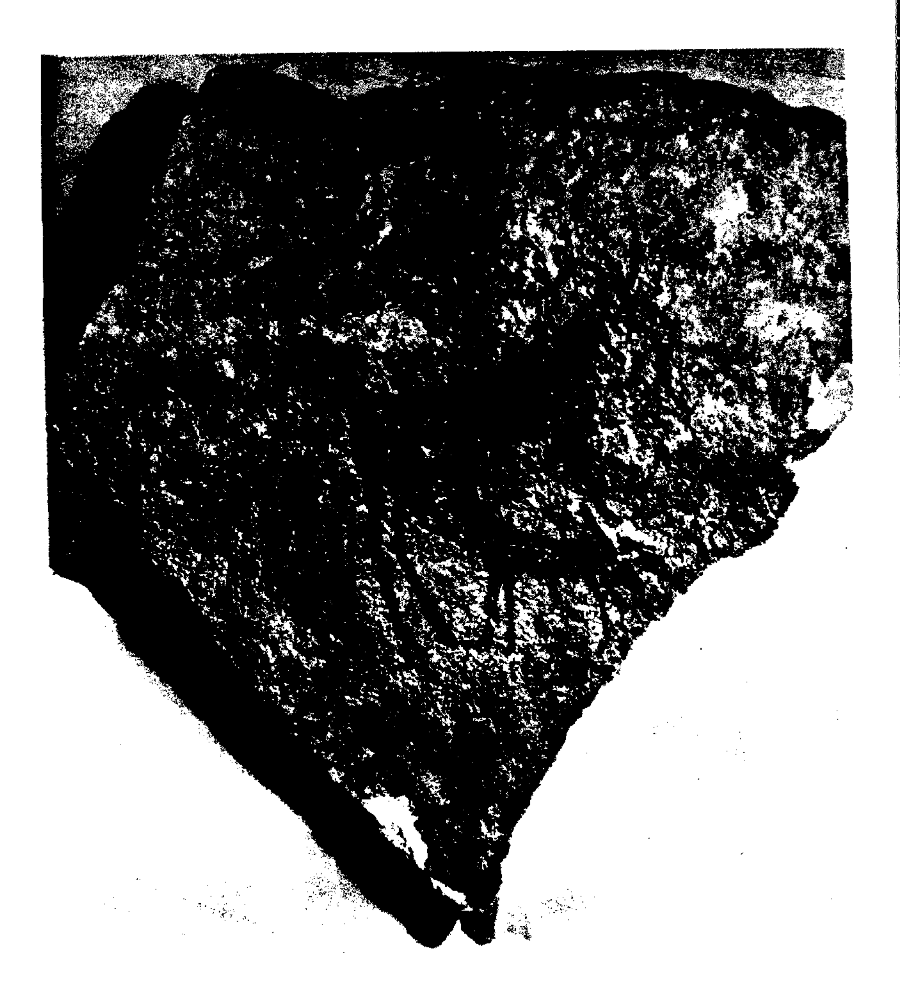
تظهر في الصورة كتل من الحجارة جلبت من أين سيتان (تاسيلي - ناجر) عليها رسوم زرافات وعلامة لغز تعرف (بالدلو) والظباء ...



... ويظهر في الصورة أعلاه نقش رسم على صخرة من صلصال التاسيلي يصعب الوصول إليه، وهو يمثل رسم أبقار وزرافات مطأطئة الرأس دون أن يظهر عليها الغضب.



يتمثل الرسم الصخري الوحيد الذي تمكنا من إعادة تصويره بالألوان في تلك العربة (التي أخذت رسومها من تماجرت) وهي تطابق بدقة الوصف الذي أعطاه هيرودوت للمنطقة. ويمكن أن تساعدنا على تصوير الصباغة الحمراء والبنفسجية التي يظهر بها كلب الصيد وهو يطارد الأروية، وله ما يشابهه في التسيم (TESEM) عند الفراعنة.



يلوح في الصورة أعلاه رسم عنزة ترضع إبنها وهي تزين ملجأ أمقيد (Amguid) والمنظر عبارة عـــن تحفـــة منمنمة تظهر فنا كله رقة وحيوية.



بانتهاء عصور ما قبل التاريخ تنتهي إحدى ألمع الحضارات البدائية التي نعرفها في صحاري العالم الأكثر حرارة، وذلك في نهاية الألف الأولى قبل الميلاد. وقد اتجه سكان المغرب القديم في هذه الفترة نحو الشمال تحت تأثير حضارات البحر المتوسط.

وبناء على ذلك فلا يوجد اثر لقبور الدولمن في الصحراء. وعلى العكس من ذلك فهي موجودة بكثرة في شمال الجزائر أكثر من البروتون بفرنسا.

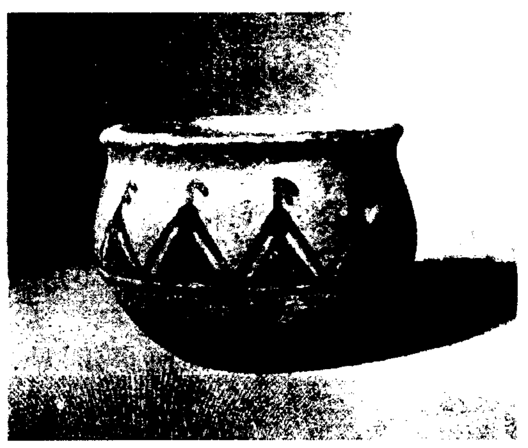


ومن جهتها تحتوي قبور الدولمن على أثاث جنائزي يؤكد ظهور طقوس جديدة تبدو عليها التأثيرات الخارجية، ويظهر ذلك واضحا في إبريق قسطل الشهير ذي الصناعة الكمبانية الذي يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد ...

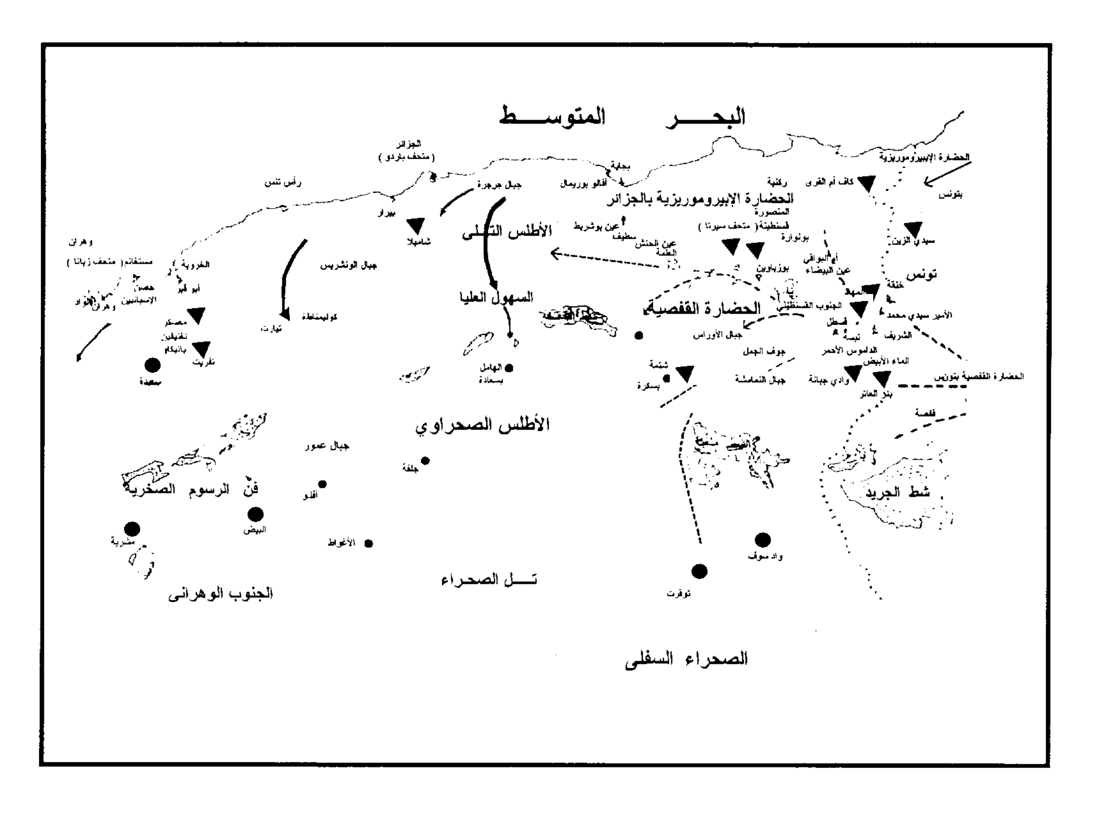
... تظهر في الصورة قدور بمشارب عمودية، وقناديل وجرار وحلي متواضعة مصنوعة من البرونز تظهر عليها التقاليد المحلية والمستوردة من قبل القرطاجيين، يضاف إليها ...



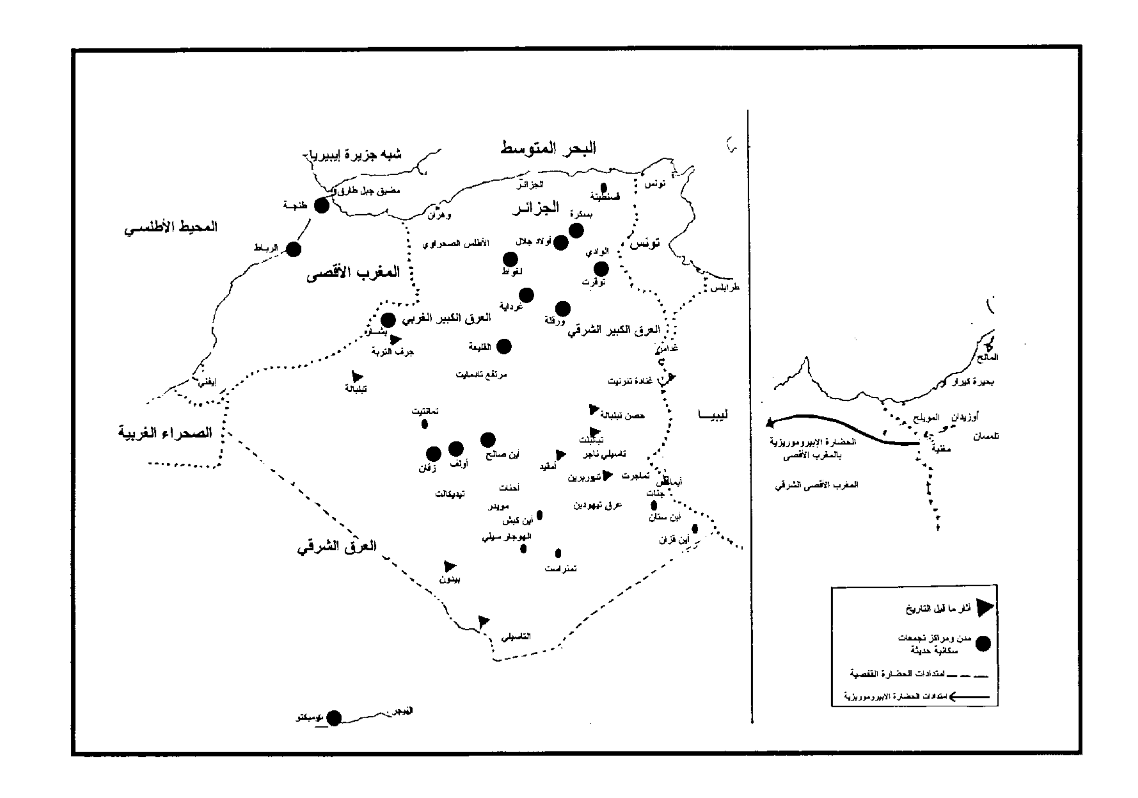
... ما يظهر في الصورة من فخار ملون تعود زخرفته إلى نهاية عصر البرونز في البحر المتوسط (لا سيما في جزيرة قبرص) ...



وهو ما يمهد للفخار النموذجي التقليدي الأمازيغي الذي يظهر على هاتين الآنيتين اللتين تعودان إلى القرن الأول قبل الميلاد. كما تبين ذلك الصورة أعلاه.



البحـــر المتوســـط
الحضارة الإبيروموريزية بالجزائر
الأطلس التلي
السهول العليا
الحضارة القفصية
الأطلس الصحراوي
فن الرسوم الصخرية
الجنوب الوهراني
تـــل الصحراء
الصحراء السفلى
شط الجريد
تونس
الحضارة الإبيروموريزية
الحضارة القفصية بتونس
الجزائر (متحف باردو)
رأس تنس
جبال جرجرة
جبال الونشريس
جبال الأوراس
جبال عمور
جبال النمامشة
قسنطينة (متحف سيرتا)
مستغانم (متحف زبانا)
وهران
بجاية
تيارت
سعيدة
البيض
الأغواط
بسكرة
توقرت
واد سوف
قفصة
تبسة



البحر المتوسط
شبه جزيرة إيبيريا
مضيق جبل طارق
طنجة
المحيط الأطلسي
الرباط
المغرب الأقصى
الجزائر
الجزائر
وهران
قسنطينة
تونس
تونس
بسكرة
أولاد جلال
الأطلس الصحراوي
الوادي
لغواط
توقرت
طرابلس
غرداية
ورقلة
العرق الكبير الغربي
العرق الكبير الشرقي
جرف التربة
القليعة
غدامس
مرتفع تادمايت
غدادة تنرنيت
تبلبالة
تمانتيت
حصن تبلبالة
ليبيا
الصحراء الغربية
أين صالح
أولف
زقان
تاسيلي ناجر
أمقيد
تيوريرين
تملجرت
أحنات
تيديكالت
مويدر
عرق تيهودين
جنات
أين كيش
أين ستان
الهوجار سيلي
أين قزان
تمنراست
العرق الشرقي
بيدون
التاسيلي
النيجر
تومبكتو
المالح
بحيرة كيزار
أوزيدان
المويلح
تلمسان
مغنية
الحضارة الإيبيروموريزية بالمغرب الأقصى
المغرب الأقصى الشرقي
آثار ما قبل التاريخ
مدن ومراكز تجمعات سكانية حديثة
امتدادات الحضارة القفصية
امتدادات الحضارة الايبروموريزية

فهرس الصور التوضيحية

1- فجر الإنسانية

حصى عين الحنش المهذبة

- موقع عين الحنش: يضم مجرى الوادي مستودعات لـ... شبه بحرية متـ... في شكل أفقي، وتبرز مستويات فيلا فرانشيان العليا، ذات الصناعة البشرية على يمين المنحدر (صور نيتو)............ص 14

- موقع عين الحنش: توجد في مستوى ثاني مستودعات ... بحرية ظهرها لتعيان مجرى الوادي، وهي عبارة عن "رمادية" قفصية يمكن تمييزها من خلال لونها الأسود. وقد ... ترسبت فيلا فرانشيان العليا التي تقاس بعدة أمتار، وفوق هذه الأخيرة تتربع "الكويرات ذات الوجوه"، (صور نيتو)............ص 16

- خندق حفريات عين الحنش: وقد توسطه الأستاذ أرامبورغ (صور نيتو)............ص 17

- حفائر عين الحنش: بدأ يظهر للعيان سن لفرس النهر وسط ترسبات بقايا بحرية متحجرة، وقد حددت مطرقة الجيولوجي مستواه ... صور لبالو............ص 18

- حفائر عين الحنش: استخراج جمجمة لوحيد القرن (صور لبالو)............ص 19

- حفائر عين الحنش: استخراج مجموعة أسنان وإنهاء عملية استعمال الجص، وفي الأسفل نرى جمجمة وحيد القرن مجصصة وذلك لأخذ الإحتياطات اللازمة عند نقلها (صور بالو)............ص 20

- حفائر عين الحنش: عملية اكتشاف جمجمة غزال وكويرة حجرية ذات أضلاع، (صور بالو)............ص 21

- حفريات عين الحنش: كويرات ذات أضلاع تم اكتشافها [1] (صور بالو)............ص 22

جزء من فك سفلي وأضراس (فيل إفريقي)، وقد انقرض هذا النوع من الفيلة في بداية العصر الجيولوجي الرابع، وتظهر بقاياه في السويات السفلية لمقطع حفريات عين الحنش (صور أ.ليبجر A.Lepigre بعد القولبة) مصغرة جدا............ص 23

قرن وفك سفلي وسلامية وزرافات متحجرة كانت تعيش في عصور صانعي (الكويرات وعظام ذات أضلاع). (صور أ.ليبجر بعد القولبة) مصغرة جدا (بلغ الطول الفعلي للسلامية حوالي 14 سنتيم)............ص 24

- حفريات عين الحنش: كويرات ذات أضلاع مقياس G.N 2/3............ص 25

- حفريات عين الحنش: حضارة الآلات مقياس G.N 2/3............ص 26

- حفريات عين الحنش: حضارة الآلات المختلفة الأصول مقياس G.N 3/4............ص 27

- حفريات عين الحنش: فؤوس بدائية الصنع من نوع البيفاس مزودة بعاقب، وقد تم تهذيبها عن طريق ضرب كتلة بأخرى مقياس G.N 3/4............ص 28

---

[1] تنتمي الأدوات التي لم يعرف بعد موضعها إلى مجموعة متحف ...

2- تغنيفين والإنسان الأطلسي

فك سفلي 1 (الذكر) مصغر إلى حد ما "يعتقد بأنه" للإنسان الأطلسي الموريطاني..........ص 31

مشهد رملية تغنيفين في سنة 1954، النصف الشمالي منها. (صور بالو)..........ص 32-33

وضعية رملية تغنيفين في سنة 1954، النصف الجنوبي منها، تظهر ورشة الحفائر في مرحلتها الأولى (صور بالو) ....ص 34-35

– تغنيفين: ورشة الحفائر في يوم 21 ماي 1956. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 36

– تغنيفين: ورشة الحفائر حملة 1956. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 37

– جهاز للغربلة: في سنة 1956. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 38

– تغنيفين: ورشة الحفائر حملة 1956. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 39

– تغنيفين: ورشة الحفائر مغمورة بالمياه (صور ر.لودو (R.Le dû))..........ص 40

– تغنيفين: ورشة مغمورة بالمياه محاطة بسياج. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 41

– تغنيفين: عمق صلصالي لحوض بحري متحجر. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 42

– تغنيفين: اكتشاف عظام فيل، في سنة 1956. (صور ر.لودو(R.Le dû))..........ص 43

– تغنيفين: اكتشاف ضرس فيل أطلسي (صور تكسيير (TIXIER (R.Le Dû))..........ص 44

– تغنيفين: اكتشاف ناب فرس نهر منقرض (صور ر.لو دو (R.Le Dû))..........ص 45

– تغنيفين: اكتشاف عظم لرأس الفيل الأطلسي (صور ر.لو دو(R.Le Dû))..........ص 46

– تغنيفين: ظهور فأس في الخندق، مصغر قليل (صور ر.لو دو(R.Le Dû))..........ص 47

– تغنيفين: فأس ذات وجهين مكسرة تكسيرا طبيعيا وبالية جدا مقياس رسم G.N 2/3..........ص 48

– تغنيفين: حضارة الآلة، نظر إليها من زاويتين مختلفتين مقياس حوالي G.N..........ص 49

– تغنيفين: حضارة الآلة وهي قريبة في حجمها من الفأس ذات الوجهين G.N (صور بوفيس (BOVIS))..........ص 50

– تغنيفين: وجه أداة من حضارة الآلات، آلت إلى فأس ذات الوجهين..........ص 51

– تغنيفين: فأس ذات ثلاث وجوه..........ص 52

– تغنيفين: فأس ذات وجهين (وجه شفرة) تم تنقيحهما عن طريق ضرب كتلة بأخرى G.N..........ص 53

– تغنيفين: فأس G.N..........ص 54

– تغنيفين: فؤوس G.N ¾ (صور كاميلري، وبوفيس (R.Camilleriet Bovis))..........ص 55

– تغنيفين: فكوك سفلية للإنسان الأطلسي الموريطاني: الأول لذكر والثاني لأنثى G.N..........ص 56

– تغنيفين: فك ثالث للإنسان الأطلسي الموريطاني G.N (صور أ.لبيجر (A.Lepigre)) (بعد القولبة)..........ص 57

يظهر على الصورة الفك السفلي الذي يحمل رقم 3 وهو الإنسان الأطلسي الموريطاني وإلى جانبه فك سفلي للإنسان الحالي، مصغر بطريقة متناهية (صور أ.لبيجر (A.Lepigre) بعد القولبة..........ص 58

– موقع شامبلين: نواة مصنوعة من الكوارتز مصغرة جدا..........ص 59

– موقع شامبلين: نواة مصنوعة من الكوارتز مصغرة جدا..........ص 60

– موقع شامبلين: فؤوس ذات الوجهين G.N 2/3..........ص 61

– مو قع بحيرة كيرار: فأس ذات الوجهين مشوهة مصقولة (متحف وهران)..........ص 62

– موقع بحيرة كيرار: حصى مهذبة G.N..........ص 63

– موقع بحيرة كيرار: فأس ذات الوجهين أشولية متطورة (متحف الإنسان بباريس) (تصوير باسكينو (Pasquino))..........ص 64

– موقع أوزيدان: فأس ذات الوجهين أشولية شديدة التحجر مقياس حوالي G.N 2/3..........ص 65

– موقع الماء الأبيض: فؤوس ذات الوجهين أشولية متطورة جدا (تم تنقيحها بالغرب بواسطة الخشب) مقياس حوالي ¾ G.N..........ص 66

- موقع تيهودين: فؤوس مصنوعة من الحجر البركاني G.N 4/5 ....ص 67
- موقع تبلبالة: فأس ذات وجهين كبيرة الحجم لا زالت تحتفظ بسقها G.N ¾ ....ص 68
- موقع تبلبالة: فأس ذات وجهين متطورة جدا مصنوعة بتقنية لافلوازية مقياس حوالي G.N ....ص 69

3- العاترية: حضارة إفريقية خالصة

-العاتري المغربي- موقع وادي جوف الجمل): رؤوس سهام ومكشط ذات مقبض، مكشط ونواة ذات تقنية لافلوازية مصغرة قليلا........................ص 74

- موقع وادي جبانة (بئر العاتر):
تبرز الطبقة الأثرية في طرفي الشطئ الصخري ويوجد في المستوى الأول من المجرى الجاف لهذا الوادي. وقد تهدمت الطبقة العاترية ذات اللون الرمادي بسبب الطمي، ثم جرفتها المياه، وتتالى عليها الإنهيار (صور بالو)............ص 76-77
محطات عاترية مختلفة موزعة على السطح الجزائري جنوب (صور كميلوري R.Camilleri)..............ص 78
صدفة حلزونية كبيرة المقياس حوالي G.N........................ص 79
موقع شواطئ بيرار الصخرية (غربي الجزائر العاصمة). توضحه الصورة السفلية على اليمين (صور بالو)......ص 80-81
موقع وادي جوف الجمل (النمامشة) بمحاذاة بئر العاتر........................ص 82

- موقع عاتري: بوادي جوف الجمل........................ص 83
سن موستيري كامل ومكبر جدا، يبلغ طوله 84 مم (موقع القطار بتونس)........................ص 85
كويرات من موقع عاتري بتيوريران، عرق تيهودين (الصحراء الجزائرية الوسطى) G.N 2/3..................ص 86
عاتري صحراوي (تيوريران) مصغر قليلا، وفي الأسفل على اليمين تظهر الأزاميل وفوقها قطعة حجرية ذات ساق هذبت بواسطة فأس ذات وجهين........................ص 87
موقع الأوبيرا العاتري (الواقع في الشمال الشرقي من تبسة) يضاف إليه موقع رمادية قفصية بخنقة المهاد، وتنتشر في هذه المنطقة العاترية الحجارة المهذبة غير أنها تختفي في السوية الثانية في كامل الرماديات المحاطة من اليسار بركام أنقاض الحفائر الأمريكية........................ص 88

4- الإنسان القفصي آكل الحلزون

منظر مقطع طولاني لرمادية سيدي محمد الشريف يتوافر على أبواب مدينة تبسة........................ص 90
منطقة حفائر رمادية عين الذكارة (تبسة) تظهر العصا مستوى الطبقة التي وجد بها هيكل عظمي للإنسان القفصي
........................ص 92
كانت المكونات الأساسية للرمادية عبارة عن حجارة محترقة وقواقع حلزونية ورماد........................ص 93
ملجأ تحت الصخر روليلاي (النمامشة)، يحدد الأشخاص مستوى السوية الأخيرة للمغارة المزينة برسوم في وسط الكهوف ووراء المرتفع يوجد الموقع العاتري الذي يعرف بوادي جوف الجمل........................ص 94
تنفتح رمادية خنقة المهاد على الممر الشرقي للسهل التونسي........................ص 95
موقع منخفض وادي عين الذكارة الصغيرة الذي يمتد في أعلاه سهل تبسة (صور بالو)، وقد سبقت الرمادية المميزة بسهل يتوسطه منحدر كبير من جراء انهيار ركام الحفائر........................ص 96-97
منظر عام لرمادية مستنقع وادي الذكارة الصغير........................ص 98
موقع رمادية مشتى العربي الواقعة في السهول القسنطينية العليا........................ص 99
كانت مميزات إنسان مشتى العربي النموذجي عبارة عن: وجه عريض، وعظام حاجب بارزة وأنف مسطح، يضاف إليها نزع الأسنان العلوية التي كان يمارسها ½ G.N (صور متحف بيبودي (Peabody))........................ص 100

كانت صفات إنسان عين الذكارة القفصي تتمثل في الوجه الطويل مع ميل إلى الضيق، ويبدو أنه لم يكن يمارس نزع الأسنان...ص 101
إنسان عين الذكارة القفصي الذي دفن في شكل جنين يتضح ذلك من خلال اكتشافه......................ص 102
جمجمة إمرأة قفصية صغيرة السن اكتشفت بقاياها في خنقة المهاد (صور دلورم (Delorme))...............ص 103
مؤخرة جمجمة مثقوبة بثقب قصد التعليق اكتشفت بقاياه برمادية مشتى العربي مكبرة جدا.......................ص 104
خنجر مصنوع من عظم ساق إنساني عثر عليه برمادية مشتى العربي (مجموعة متحف قسنطينة) G.N.........ص 105
صناعة قفصية نموذجية G.N...ص 107
أسلحة مصنوعة تعود للقفصي الأعلى وهي تحتوي على مثلثات مختلفة الأضلاع ومربعات منحرفة، وأزاميل دقيقة ومنشار وشفرة ذات حزوز، وأزاميل صغيرة حادة الزوايا، ومثقب ونواة ذات شفرة دقيقة صغيرة، ومدقات...............ص 108
صناعة قفصية عليا تتمثل في أدوات حجرية دقيقة هندسية الشكل منها (الأشكال المربعة والمنحرفة والمثلثات المختلفة الأضلاع والهلالية والأزاميل الدقيقة)G.N ....ص 109
نقوش ذات محتوى غريب اكتشفت في عين الذكارة.G.N...ص 110
لوحات منقوشة من خنقة المهاد لا يزال حل رموزها ناقصا G.N..ص 111
رسم حيوان منقرض وبقر وحش كبير الجثة وجدا منقوشين على صخرة بالقرب من خنشلة، يوجدان حاليا في حديقة متحف قسنطينة. رسم مصغر جدا (صور بالو)...ص 112

الإبيرومغربيون الذين ينتمون إلى إنسان مشتى العربي

ملاجئ عديدة تحت الحجارة الرملية الواقعة في الضفة اليسرى لمجرى وادي المويلح أحد روافد نهر التافنة
....ص 116
موقع إيبيرومغربي بالمويلح يتمثل في حفرية جرت بمغارة صغيرة تقع على حافة الطريق الرابط بين مغنية ونمور بالقرب من الجسر الممتد على الوادي...ص 117
صناعة إيبيرومغربي وأدوات مستخرجة من موقع مويلح وشامبلين: وهي عبارة عن شفرات صغيرة ذات حافة مسطحة وأقراط وأزاميل دقيقة وهلاليات ومثاقب مثقوبة وسن متحجر، ونواة وسكين مصنوع من العظم وشفرات ذات حافة مضروبة G.N...ص 119
شفرات صغيرة ذات حافة مثلمة مسننة ومثقب ثلاثي الشكل ترى وقد صنعت عن طريق الطرق بأزميل دقيق يوجد مثال لها في ورشة التهذيب بموقع الهامل حفائرتيجزيير (J.Tixier) مكبر إلى حد ما..........................ص 120
عظم صدغي لطفل مثقوب بواسطة شفرة دقيقة ذات حافة مثلثة وجد في مغارة البشر (وهران) حفريات ب-كادنة P.Cadenat مكبر جدا...ص 121
موقع شجر "الكرم" الإبيرومغربي الهام ذو الطبيعة الصخرية، يوجد هذا الموقع بالقرب من شرقي الجزائر العاصمة وتظهر في أعلى قمته بقايا النيوليتي بينما في أسفله وجد ركام اختلطت ببقايا الحضارة الإبيرومغربية ص122-123
قمة رأس تنس مشهد أخذ من الناحية الغربية...ص 124
نفس القمة السابقة أخذ لها منظر من الشرق تظهر بها المغارة الإبيرومغربية مسبوقة بمنحدر.......................ص 124
صدفة عثر عليها في موقع شامبلين (منطقة المدية) التقطت من موقع إيبيرومغربي ظهر باطنها متحجر بواسطة رماد المنازل وبها ثقب للتعليق G.N...ص 125
ورشة حفريات كلومناطة (منطقة تيارت) حفائر وصور بـــ كادنا (P.Cadenat)............................ص 126
عظم جمجمة رأس إنسان عثر عليه في موقع كهف أم التويزة (شرق عنابة) مقياس طبيعي ويبدو أنه ينتمي إلى إنسان فرانكفورت العالمي G.N 4/5 (صور دولورم (Dolorme))..ص 127
جمجمة إمرأة نموذجية أخذت من موقع مشتى العربي (جنوب غرب ولاية قسنطينة) تظهر عليها لمسات ظاهرة نزع أسنان الفك العلوي...ص 128

معالم رسم حصان على صخرة بجرف التربة (القاندمة) مقياس حوالي G.N 4/5..................ص 132
مطحنة مسطحة ومنقة بالإضافة إلى بقايا آثار فحم ومغرة وأجزاء من الأصداف الحلزونية وجدت بمغارة الداموس الأحمر (ضواحي تبسة مقياس حوالي G.N 1.3)...........................ص 134
رسم بسيط على قشرة بيض النعام وضع بالقرب من ثقب إحدى بيض النعام وقد عثر عليه بملجأ الداموس الأحمر (ضواحي تبسة) مقياس الرسم حوالي G.N ½...........................ص 135
صناعة عظمية تتمثل في مثقب وإبر ضخمة ذات عيون وأدوات مجهولة الإستعمال تحتوي على ثقوب للتعليق عثر عليها في مغارة بوزبلوين (منطقة عين مليلة) توجد حاليا في متحف قسنطينة G.N 2/3..................ص 136
جمجمة للهيكل العظمي رقم 3 اكتشف في موقع إيبيرومغربي نيوليتي وذلك بموقع حفريات كلومناطة (تيارت) المقياس الطبيعي يخضع لإنسان فرانكورت العلمي مقياس حوالي G.N ¾..................ص 137
منظر لمغارة البوليغون (ضواحي مدينة وهران)..................ص 138
بقايا إنسان نيوليتي اكتشف في مغارة (الوادي المالح) منطقة وهران ينقصه الجزء العلوي من الوجه والجمجمة مصغر جدا..................ص 139
عظم جمجمة اكتشفت في مغارة التروجلوديت (ضواحي وهران) يظهر الفك السفلي منها ناقصا (متحف وهران) G.N..................ص 140
فؤوس وبليطات مهذبة عثر عليها في مغارة نوازرو (ضواحي وهران) متحف وهران G.N..................ص 141
مثاقب عظمية مهذبة G.N ومنجل G.N عثر عليها بمغارة البوليغون ضواحي وهران (متحف وهران)..................ص 142
حلي اكتشفت بمغارة الجنوب (ضواحي وهران) متحف وهران G.N 2/3 G.N..................ص 143
إناء خزفي وجد بمغارة الغابة (ضواحي وهران) متحف وهران G.N..................ص 144
كسر فخارية اكتشفت في الجهة اليسرى من مغارة الغابة وعلى الجهة اليمنى من مغارة نوازو (ضواحي وهران) متحف وهران G.N 2/3..................ص 145
كسر فخارية عثر عليها في مغارة نوازو (ضواحي وهران) متحف وهران مقياس حوالي G.N 2/3..................ص 146
فخار مزخرف، طراز الأواني الكلسية عثر عليه في مغارة أم الفرنان منطقة سعيدة (متحف وهران) G.N..................ص 147
موقع أثري نيوليتي عثر عليه في ضواحي ورقلة تناثرت صناعته بسبب الرياح فهو يحتوي على منطقة رمادية امتزجت بالرمال بفعل الرياح حدد مستواها التقريبي حيث بلغت حوالي 30 سم..................ص 148
نواة ذات شفرات صغيرة تعود إلى العصر الحجري الحديث الصحراوي، تظهر في شكل مخروطي أو تاج أسقفي وتحتوي على ذروة واضحة مقياس حوالي G.N ½..................ص 149
موقع نيوليتي صحراوي عرفت سكاكينه تحت إسم تيديكالت G.N 2/3..................ص 150
رأس سهم وجد في العرق الشرقي G.N مكبر جدا مضروب في أربعة..................ص 151
أسنان كبيرة لسهام مواقع ورقلة G.N ورؤوس سهام تيديكالت يوجد من بينها الشبيه ببرج إيفل الذي يعود إلى العصر النيوليتي الصحراوي مقياس حوالي G.N 2/3..................ص 152
أسلحة نيوليتية صحراوية وجدت في العرق الشرقي حوالي G.N 2/3..................ص 153
رؤوس سهام مصنوعة من نماذج مختلفة وجدت في العرق الشرقي تعود إلى العصر النيوليتي الصحراوي 2/3 G.N..................ص 154
مطحنة ذات حواف منحوتة وجدت بطاسيلي-ناجر مصغرة جدا (طولها يساوي حوالي 630 مم)..................ص 155
حجارة مهذبة تعود إلى العصر النيوليتي الصحراوي G.N 2/3..................ص 156
فأس ذات عنق تعود إلى العصر النيوليتي التينيري G.N..................ص 157
جفنة حجرية G.N..................ص 158
جفنة حجرية (مصنوعة من الرخام) G.N..................ص 159
بتيل تبلبالت (طاسيلي ناجر) صورة مصغرة جدا بلغ ارتفاعها 33 سم..................ص 160

- كتلة مدورة: تعرف ببقرة (سيليت بالهقار) مصغرة إلى حد ما...ص 161
- كتلة مدورة: تعرف بكبش (تامنتيت) مصغرة نوعا ما..ص 162
- كتلة مدورة: تمثل غزال (إما كاسن – طاسيلي – ناجر) G.N..ص 163
فخار نموذجي يشتمل على أقداح G.N وأجزاء فخارية مزينة لإناء كبير G.N2/3............................ص 164
خابية كبيرة وجدت ببئر زوزوديقا (جنوب شرقي طاسيلي ناجر) مصغرة جدا بلغ علوها 250 مم وعنقها 300 مم
....ص 165
مصاقل مستديرة شبيهة ببيض النعامة غير متوازنة لم يتم صقلها بعد بمقياس حوالي ¾ G.N....................ص 167
أقراط (مصنوعة من عظام دب بحري متحجرة) بالإضافة إلى كرة مثقوبة مقياس حوالي G.N 2/3............ص 168
أقراط تظهر في شكل سنارة (مقياس حوالي G.N 1/2 باستثناء الرابع ابتداء من أعلى إلى أسفل لا يزال محفوظا في متحف باردو أما البقية فإنها تظهر في مجموعات (L.I.F.A.N) بدكار وكلها عثر عليها في الصحراء الجنوبية وفي الأعلى تظهر قطعة غير كاملة ونفس الشيء يقال لسنانير المفك G.N و قد استخرجت من كاركار (تلمسي) ومن كوبادي (بماسينيا) وقد وجدت سنانير صيد عظيمة ذات أحجام بسيطة في جنوب إين قزام وأخرى في منات مويدير (Mouydir)......ص 169
أوريكس ألغزال. جرف التربة (منطقة القنادسة) G.N..ص 170

فهرس المحتوى

استهلال	....	ص3	3......
مقدمة المترجم	....	ص5	12......
بداية فجر الإنسانية	....	ص13	30......
تغنفين والإنسان الأطلسي	....	ص31	71......
الحضارة العاترية	....	ص73	88......
السهول العليا القسنطينية	....	ص89	129......
العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ	....	ص131	180......
فهرس الصور التوضيحية	....	ص183	188......
فهرس المحتوى	....	ص189	189......



هذا الكتاب

إن أمة تضرب حضارتها في أعماق الزمن وتصدت لحلقات الطامعين الذين حاولوا محو شخصيتها التاريخية، بداية منذ الاستعمار الروماني والوندالي ثم البيزنطي وحتى الفرنسي، لهي جديرة بالبقاء والوقوف في وجه سلبيات العولمة طالما هي متمسكة بثوابتها ومتفتحة على العالم الخارجي المعاصر.

المترجم

ردمك 3 - 618 - 60 - 9961